البحث الثانى

غاية الإبانة عن تفسير سورة القيامة

عبد

تأليف
أ.د. حصة أحمد عبد الله الغزال
أستاذ بقسم الدراسات الإسلامية
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة قطر

بسم الله الرحمن الرحيم

■ المقدمة:

الحمد لله الذي أنزل على رسوله محمد ﷺ القرآن الكريم ليكون حجة وبرهاناً على أنه رسول الله إلى الناس أجمعين.

والصلاة والسلام على رسولنا محمد المبلغ عن ربه ـ عز وجل ـ الكتاب الحكيم بلاغاً تاماً بيناً واضحاً فأتم الله تعالى به نعمة الإسلام وأكمل به الدين.فصلوات الله تعالى عليه وعلى أهله وأصحابه وأتباعه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين. وبعد:

فإن أرقى ما ينشغل به الفكر وأسمى ما يتفكر فيه العقل وأفضل ما يتدبره القلب هو كتاب الله القرآن الحكيم. لأنه المتضمن لكل خير والجامع لكل سعادة يتطلع إليها الإنسان المؤمن في الدنيا والآخرة. ففيه الهدى القويم والنهج الصحيح السليم والتربية المثلى والتقويم الحكيم لكل إنسان إذا صح قصده وخلصت نيته وصفت روحه وقوى عزمه واتجه إلى القرآن العظيم يرتشف من هديه ويقتبس من نوره ويسترشد بتعاليمه ومواعظه وحكمه.

وهذا ما يستمد من كل آية من آيات الكتاب المبين وكل كلمة من كلماته وكل سورة من سوره بل من كل حرف من حروفه. وهذا ما استحث العلماء والأئمة من المسلمين في كل عصر من العصور من يوم أن نزل القرآن على رسول الله ﷺ على تفسير القرآن وبيان معانيه وتوضيح مفاهيمه وتجلية هداياته.

وكثرت المؤلفات في التفسير واكتظت المكتبات الإسلامية وغير الإسلامية بالمصنفات التفسيرية المتنوعة المناهج والأساليب، فمنها التفسير بالمأثور والتفسير بالرأي والاجتهاد والتفسير الفقهي والتفسير اللغوي والتفسير الذي يغلب فيه جانب النحو والذي يغلب فيه جانب البلاغة بأنواعها.

ووسط هذا التراث الضخم وهذه المؤلفات المتكاثرة وهذا الكم الهائل لا يجد طالب العلم لنفسه مكانة ولا يحصل على ناحية أو زاوية يستطيع أن يدلف منها إلى أن يدلي بدلوه في خدمة كتاب الله ـ عز وجل ـ بأن يفسر بعض آياته أو سوره إلا أن يقوم بمطالعة تفاسير المتقدمين والمحدثين ويستخلص منها صفوة بيانهم وزبدة تفاسيرهم ليؤلف منها تفسيراً ليكون أقرب إلى عقول أهل عصره وأبناء جيله.

ومن ثم فقد اتجهت نيتي وصح عزمي على تأليف تفسير لسورة من سور القرآن العظيم يكون بداية آمل أن تكون موفقة بتوفيق الله عز و جل.

وهي سورة«القيامة» لما تتضمنه من حقائق ومؤثرات وصور ومشاهد تواجه القلب البشري مواجهة قوية فتغرس فيه التصور الصحيح لنفسه ولأطوار حياته ومشاهد دنياه وأخراه. كل ذلك مع كونها سورة صغيرة لا تتجاوز أربعين آية.

وقد سلكت في بيان تفسيرها المنهج التالي:

١- المقدمة.

٢- التمهيد. مدخل إلى تفسير سورة «القيامة».

٣- تقسيم آيات السورة الكريمة إلى موضوعات وفق ترتيب آياتها. مع وضع عنوان لكل آية أو آيات يجمعها وحدة الموضوع.

أ - بيان التفسير الإجمالي للآيات.

ب - بيان شرح الألفاظ وبيان المراد من اللفظ في الآية.

ج - بيان سبب النزول- إذا وجد.

د - بيان مناسبة الآيات لما قبلها.

هـ - بيان التفسير التحليلي للآيات.

و - بيان الأحكام الفقهية إن وجدت.

٤- الخاتمة: بيان ما يستفاد من تفسير سورة القيامة.

وسميت تفسيري هذا:

« غاية الإبانة عن تفسير سورة القيامة »

أسال الله ـ عز وجل ـ أن يجعله موفقاً مقبولاً مرضياً لديه سبحانه وتعالى. وأن يستر ما لحقه من نقص أو تقصير.وأن ينفعني به في الدنيا والآخرة. وأن يكون نوراً هادياً وضياءً مرشداً لجميع المسلمين.

❁❁❁

التمهيد

مدخل إلى تفسير سورة القيامة

يحتوي على بيان ما يأتي:

١- مكان سورة القيامة في المصحف الشريف.

٢- ترتيب نزولها.

٣- زمن نزولها.

٤- اسمها.

٥- عدد آياتها وكلماتها وحروفها.

٦- الهدف الأساسي للسورة.

٧- الأغراض والموضوعات التي تتضمنها السورة.

٨- فضل سورة القيامة.

٩- مناسبة السورة للسورة قبلها.

١٠- مناسبة خاتمة السورة لفاتحتها.

أولاً : مكان سورة القيامة في المصحف الشريف:

سورة القيامة هي السورة الخامسة والسبعون حسب ترتيب المصحف الشريف.

تقع بين سورة المدثر وسورة الإنسان. وهي السورة التاسعة من جزء «تبارك» وهو الجزء التاسع والعشرون.

وهي السورة السابعة والعشرون من سورة المفصل[١] على رأي من قال: إن المفصل يبدأ بسورة الحجرات. وهي السورة السادسة والعشرون على رأي من قال إن المفصل يبدأ بسورة «ق»[٢]. وهي من سور طوال المفصل[١].

---

(١) قال العلماء : القرآن العزيز أربعة أقسام: الطوال والمئون والمثاني والمفصل . ـ انظر البرهان في علوم القرآن / للزركشي / ٢٤٤/١.

(٢) المرجع السابق ٢٤٥/١.

ثانياً: ترتيب نزولها :

وهي السورة الحادية والثلاثون حسب ترتيب نزول السور. نزلت بعد سورة «القارعة» وقبل سورة «الهمزة»[٢].

وهذا ما يستفاد من الرواية التي رواها البيهقي في دلائل النبوة بسنده عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن قالا:

[أنزل الله من القرآن بمكة: «اقرأ باسم ربك الذي خلق» و«نون والقلم» و«المزمل» و«المدثر» و«تبت يدا أبي لهب» و«إذا الشمس كورت» و«سبح اسم ربك الأعلى» و«الليل إذا يغشى» و«الفجر» و«الضحى» والانشراح «ألم نشرح» و«العصر» و«العاديات» و«الكوثر» و«ألهاكم» و«أرأيت» و«قل يا أيها الكافرون» و«أصحاب الفيل» و«الفلق» و«قل أعوذ برب الناس» و«قل هو الله أحد» و«النجم» و«عبس وتولى» و«إنا أنزلناه» و«والشمس وضحاها» و«والسماء ذات البروج» و«والتين والزيتون» و«لإيلاف قريش» و«القارعة» و«لا أقسم بيوم القيامة» و«الهمزة» و«المرسلات» و«ق والقرآن المجيد» و«لا أقسم بهذا البلد» و«والسماء والطارق» و«اقتربت الساعة» و«ص والقرآن» و«الجن» و«يس» و«الفرقان» و«الملائكة» و«طه» و«الواقعة» و«طسم» و«طس» و«طسم» و«بني إسرائيل» – والتاسعة– و«هود» و«يوسف» و«وأصحاب الحجر» و«الأنعام» و«الصافات» و«لقمان» و«سبأ» و«الزمر» و«حم المؤمن» و«حم الدخان» و«حم السجدة» و«حم عسق» و«حم الزخرف» و«الجاثية» و«الأحقاف» و«الذاريات» و«الغاشية» و«أصحاب الكهف» و«النحل» و«نوح» و«إبراهيم» و«الأنبياء» و«المؤمنون» و«ألم السجدة» و«الطور» و«تبارك الذي

---

(١) المرجع السابق.
(٢) البرهان في علوم القرآن/ للزركشي/ ١٩٣/١.
- والإتقان في علوم القرآن/ للسيوطي/ ١/ ٢٥.

بيده الملك» و«الحاقة» و«سأل سائل»و«عم يتساءلون»و«النازعات» و«إذا السماء انشقت» و«إذا السماء انفطرت»و«الروم» و«العنكبوت».

وما نزل بالمدينة:

«ويل للمطففين»و«البقرة»و«آل عمران» و«الأنفال» و«والأحزاب» و«المائدة» و«الممتحنة» و«النساء» و«إذا زلزلت» و«الحديد» و«محمد» و«الرعد» و«الرحمن»,«هل أتى على الإنسان»و«الطلاق»و«لم يكن» و«الحشر» و«وإذا جاء نصر الله» و«النور» و«الحج» و«المنافقون» و«المجادلة» و«الحجرات» و«يأيها النبي لم تحرم»و«الصف»و«الجمعة»و«التغابن» و«الفتح» و«براءة».

قال أبو بكر: والتاسعة يريد سورة يونس. قلت: وقد سقط من هذه الرواية ذكر فاتحة الكتاب و«الأعراف» و«كهيعص» فيما نزل بمكة] [١]

وقد نقله السيوطي في كتابه الإتقان[٢] وأضاف إليه ما رواه ابن الضريس في فضائل القرآن بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ وهي تمتاز عن الرواية السابقة بالتصريح بسورة«يونس» و«الفاتحة» و«الأعراف» و«كهيعص» والتعبير بثم بين كل سورة وسورة.[٣]

وكل ذلك يقرر أن سورة القيامة هي السورة الواحدة والثلاثون حسب ترتيب النزول.

ونلحظ من ذلك الخطأ والخلط الذي وقع في كتاب «فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن» لابن الجوزي حيث جعل سورة القيامة من السور

(١) انظر دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة/لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي/١٤٢/٧، ١٤٣.
(٢) الإتقان في علوم القرآن/٢٥/١، ٢٦.
(٣) انظر الإتقان في علوم القرآن/٢٦/١/ ٢٧.

المدنية. [1]

ثالثاً: زمن نزول سورة القيامة :

مما تقدم نعلم أن سورة القيامة نزلت بمكة فهي من السور التي اتفق العلماء والمفسرون على كونها سورة مكية. [2]

ويقرر مكيتها سياق آياتها وأسلوبها والمضامين التي احتوتها. فآياتها قصيرة وفواصلها متقاربة وإيقاعها شديد على القلوب وكرر فيها لفظ «كلا» ثلاث مرات وتضمنت الرد على منكري البعث والقيامة وأقامت الأدلة على وقوعها وغير ذلك مما يؤكد ويوثق كونها مكية.

يضاف إلى ذلك ما أخرجه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طرق عن ابن عباس قال: نزلت سورة القيامة – وفي لفظ – نزلت «لا أقسم بيوم القيامة» بمكة.

وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت سورة «لا أقسم» بمكة. [3]

رابعاً: اسمها :

اسمها سورة القيامة اتفق على الاسم جميع المفسرين والمؤلفين في علوم القرآن. وفي كتب الحديث.

وجاء في الرواية المتقدمة عن عكرمة: "لا اقسم بيوم القيامة" ولعل هذا

---

(1) فنون الأفنان في عجائب علوم القرآن/لابن الجوزي/ تحقيق: محمد إبراهيم سليم/١٦٨.

(2) انظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ للفيروز أبادي/٤٩٠/١، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- والجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي/ ٩١/١٩/ ط. الهيئة المصرية للكتاب .
- والقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز على ناظمة الزهر للإمام الشاطبي/ ٣٣١/طبعة المدينة المنورة.

(3) الدرر المنثور في التفسير بالمأثور / للسيوطي/٢٨٧/٦/طبعة دار المعرفة ، بيروت..

ما جعل الإمام الآلوسي يقول: [ويقال لها سورة لا أقسم]. [١]

وهذا لا يفيد تعدد أسمائها فهو اختلاف تعبير ليس إلا. وأكثر المفسرين على أن سبب تسميتها بذلك وقوع القسم بيوم القيامة في أولها: "لا اقسم بيوم القيامة". ولكن المتأمل في السورة الكريمة يلحظ أنها سميت بذلك لما يأتي:

١- أن الله عز و جل لم يقسم بيوم القيامة إلا في هذه السورة. فقال: "لا اقسم بيوم القيامة". [٢]

٢- أن الله عز و جل قال فيها أيضاً: "يسأل أيان يوم القيامة". [٣]

٣- أنها متضمنة لكثير من الأحداث الكبرى في ذلك اليوم.

٤- أنها تضمنت غاية التعظيم لذلك اليوم وما فيه من ثواب المؤمن وعقاب الكافر.

٥- أنها تضمنت القيامة الصغرى وهي الموت والقيامة الكبرى وهو اليوم الآخر.

لكل هذه الأسباب كانت السورة جديرة أن تسمى بذلك وتنفرد به من بين سور القرآن الكريم.

خامساً: عدد آياتها وكلماتها وحروفها:

<u>عدد آياتها</u> :

إن عدد آيات سورة القيامة أربعون آية عند الكوفيين وتسع وثلاثون عند غيرهم.

والاختلاف في موضع واحد وهو قوله تعالى: (لا تحرك به لسانك لتعجل

---

(١) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني / للآلوسي/ ١٣٥/٢٩.
(٢) سورة القيامة/ رقمها ٧٥/ الآية ١.
(٣) سورة القيامة / رقمها ٧٥/ الآية ٦.

به)[١] فهي الآية السادسة عشرة عند أهل الكوفة. وعند غيرهم هي صدر آية وبقيتها قوله تعالى: (إن علينا جمعه وقرآنه) [٢] فعد الكوفي قوله: (لتعجل به) نهاية الآية لانقطاع الكلام ولم يعده الباقون لعدم الموازنة[٣] في الفاصلة.

عدد كلماتها :

وعدد كلمات سورة القيامة مائة وتسع وتسعون كلمة[٤]. ويقول صاحب السراج المنير: "إنها مائة وسبع وتسعون كلمة"[٥].

[قيل:وسبب الاختلاف في عدد الكلمات أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ولفظ ورسم واعتبار كل منها جائز وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز]. [٦]

[وقيل: سبب الاختلاف أن بعضهم عد نحو: الأرض والآخرة والأنهار والأبرار كلمتين على مذهب الكوفيين ؛ لأنهم يجعلون الألف واللام كلمة رأسها مبنية لمعنى التعريف. وبعضهم عد ذلك كلمة واحدة على مذهب البصريين لأنهم يجعلون اللام وحدها للتعريف والألف للابتداء][٧].

عدد حروفها :

وعدد حروف سورة القيامة ستمائة واثنان وخمسون حرفاً[٨].

وجميع المفسرين على ذلك مما يدل على خطأ الفيروزابادي في كتابه "بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز" حيث يقول: [وحروفها

(١) سورة القيامة / رقمها ٧٥/ الآية ١٦.
(٢) سورة القيامة / رقمها ٧٥/ الآية ١٧.
(٣) انظر القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز على ناظمة الزهر/ للشاطبي/ ٣٣٢.
- وانظر بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/ للفيروز أبادي/١/٤٩٠.
(٤) انظر المرجعين السابقين.
(٥) تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير/ للخطيب الشربيني/ ٤/ ٤٣٨.
(٦) انظر الاتقان في علوم القرآن / للسيوطي/١٩٧/١.
(٧) القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز على ناظمة الزهر/ للشاطبي/١٢٠.
(٨) المرجع السابق/ ٣٣٢ .
- وتفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير/٤٣٨/٤.

ثلاثمائة واثنتان وخمسون] [١].

وقد اختلف العلماء في عدد حروف بعض سور القرآن. ولكن ليس بهذا الفارق الكبير.

[وسبب الاختلاف أن بعضهم عدَّ كل حرف مشدد بحرفين وعده بعضهم حرفاً واحداً.

وقيل: بحسب اختلاف رسم المصحف] [٢].

سادساً: الهدف الأساسي لسورة القيامة:

يقول البقاعي: [ومقصودها: الدلالة على عظمة المدثر المأمور بالإنذار ﷺ لعظمة مرسله سبحانه وتمام اقتداره بأنه كشف له العلوم حتى صار إلى الأعيان بعد الرسوم بشرح آخر سورته من أن هذا القرآن تذكرة عظيمة لما أودعه الله فيه من وضوح المعاني وعذوبة الألفاظ وجلالة النظم ورونق السبك وعلو المقاصد. فهو لذلك معشوق لكل طبع معلوم ما خفي من إشاراته بصدق النية وقوة العزم بحيث يصير كأنه منسياً بعد حفظه فذكر: (فمن شاء ذكره) [٣] وعلم معانيه وتخلق بها] [٤].

ويقول الفيروزابادي: [مقصود السورة: بيان هول القيامة وهيبتها وبيان إثبات البعث وتأثير القيامة في أعيان العالم وبيان جزاء الأعمال وآداب سماع الوحي والوعد باللقاء والرؤية والخبر عن حال السكرة والرجوع إلى بيان برهان القيامة وتقرير القدرة على بعث الأموات في قوله: (أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى) [٥]] [١].

---

(١) ج١/صـ٤٩٠.
(٢) انظر شرح العلامة المخللاتي المسمى بالقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز على ناظمة الزهر/للإمام الشاطبي /١١٦.
(٣) سورة المدثر رقمها ٧٤: الآية ٥٥.
(٤) مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور/ للبقاعي/١٣٩/٣ - ونظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ للبقاعي/ ٨٢/٢١/طبعة الهند.
(٥) سورة القيامة رقمها ٧٥: الآية ٤٠.

وكلا الإمامين قد عبرا عما تجلى في نفوسهما وانقدح في تفكيرهما من التدبر في آيات السورة الكريمة فالبقاعي قصد إلى ربط السورة بما قبلها وهي سورة المدثر ليقرر قوة الربط وشدة المناسبة بين سور القرآن الكريم.

والفيروزابادي قصد إلى بيان الأغراض التي تضمنتها السورة الكريمة ولكن الناظر المتدبر في آيات سورة القيامة والأغراض التي تتضمنها ليستنبط منها الهدف الأساسي الذي تدور عليه جميع آيات السورة الكريمة يحصل على أنه: غرس الاعتقاد الجازم بوقوع الجزاء على الأعمال لبعث همة الإنسان على القيام بأمر الله تعالى والعمل للآخرة.

سابعاً: الأغراض والموضوعات التي تضمنتها سورة القيامة:

إن القارئ لسورة القيامة المتفكر في آياتها الكريمة يحصل على كونها تحتوي على الأغراض والموضوعات التالية حسب ترتيب آياتها:

١- بيان تأكيد وتقرير وقوع يوم القيامة.

٢- بيان تأثير القيامة في أعيان العالم وحال المنكر في هذا اليوم.

٣- بيان المبادرة إلى استماع القرآن الكريم وآداب سماعه وتلقيه.

٤- بيان الزجر عن إيثار الحياة الدنيا العاجلة على الحياة الآخرة الباقية وبيان حال المؤمنين في الآخرة وحال الكافرين فيها.

٥- بيان حال الإنسان عامة عند الموت وحال الكافر خاصة

٦- بيان وجوب الجزاء على الأعمال ودلائل قدرة الله تعالى على بعث الخلق بعد الموت للجزاء.

ثامناً: فضل سورة القيامة:

(١) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/١/٤٩٠/طبعة- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية.

إن سورة القيامة من سور القرآن العظيم المنزل على رسول الله ﷺ فقراءتها والتدبر فيها ودراسة تفسيرها تستوجب الثواب الجزيل والجزاء الجميل يدل على ذلك: قوله ﷺ : (ما من مسلم يأخذ مضجعه يقرأ سورة من كتاب الله إلا وكلَّ الله به ملكاً فلا يقربه شيء يؤذيه حتى يَهُبَّ متى هَبَّ). [1]

وقوله ﷺ : (يجئ صاحب القرآن يوم القيامة فيقول القرآن: يا رب حلِّه فيلبس تاج الكرامة. ثم يقول: يا رب زده. يا رب ارضى عنه فيرضى عنه. ويقال له: اقرأ وارق. ويزاد بكل آية حسنة).[2]

وقوله ﷺ : (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنه ،والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول (ألم) حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف). [3]

وليس خافياً أن سورة القيامة تدخل في كل ذلك.

يزاد على ذلك في بيان فضلها أنها من سور المفصل الذي نص الرسول ﷺ على فضله بقوله" صلى الله عليه وسلم": (أعطيت مكان التوراة السبع الطوال[4] ومكان الزبور المئين[1] ومكان الإنجيل المثاني[2] وفضلت

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه / كتاب الدعوات/ باب ما جاء فيمن يقرأ القرآن عند المنام/من طريق شداد بن أوس/٥/رقم ٣٤٠٧/صـ٤٧٦. وقال : هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه.
- وأخرجه أحمد بن حنبل في مسنده/٤/١٢٥.

(2) أخرجه الترمذي في سننه/كتاب فضائل القرآن/ باب ١٨/جزء ٥/رقم ٢٩١٥/ صـ١٧٨ عن أبي هريرة. وقال: هذا حديث حسن صحيح.
- وأخرجه الحاكم في المستدرك/١/٥٥٢/ كتاب فضائل القرآن/ من حديث أبي هريرة، وقال: حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي .
- وأورده المنذري في الترغيب والترهيب /جـ٢/رقم١٥/صـ٣٥٠/كتاب قراءة القرآن/ الترغيب في قراءة القرآن في الصلاة وغيرها وفضل تعلمه وتعليمه والترغيب في سجود التلاوة.

(3) أخرجه الترمذي في سننه / كتاب فضائل القرآن/ باب ١٦ – ما جاء فيمن قرآ حرفاً من القرآن ماله من الأجر/ج ٥/رقم٢٩١٠/صـ١٧٥ عن عبد الله بن مسعود/ وقال: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه.

(4) الطوال: سبع سور: البقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، وأخيراً يونس أو "الأنفال وبراءة "معاً لعدم الفصل بينهما بالبسملة.

بالمفصل[٣]). [٤]

ينضم إلى هذه الأحاديث ما ورد في فضل آية بعينها من سورة القيامة ما رواه أبوداود[٥]، والترمذي[٦]، وأحمد[٧].

---

(١) المئون: هي السور التي تزيد آياتها على مئة أو تقاربها، أي التي في حدود المائة آية.

(٢) والمثاني:هي التي تلي المئين في عدد الآيات،وقال الفراء:هي السورة التي آيها أقل من مئة آية لأنها تثني – تكرر وتعاد. أكثر من الطوال والمئين.

(٣) والمفصل: هو أواخر القرآن وصحح النووي أن أوله "الحجرات" ، وسمي بالمفصل لكثرة الفصل بين سوره بالبسملة.
- والمفصل ثلاثة أقسام: طوال، وأواسط، وقصار:
- فطواله: من أول"الحجرات" إلى سورة"البروج.
- وأوسطه: من سورة"الطارق" إلى سورة"البينة".
- وقصاره: من سورة "إذا زلزلت" إلى آخر القرآن"[أ].

(أ) انظر البرهان في علوم القرآن للزركشي/١/٢٦٩.
- وعلوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه/د.عدنان زرزور/١٦٣/طبعة١.

(٤) أخرجه أحمد في مسنده/ جزء ٢٨/رقم١٦٩٨٢/صـ١٨٨ إسناده حسن،عمران بن القطان، وهو ابن داور – حسن الحديث، وباقي رجال الإسناد ثقات رجال الشيخين غير أبي داود الطيالسي، فمن رجال مسلم ، واخرج له البخاري تعليقاً. قتادة:هو ابن دعامة السدوسي.
- انظر تقريب التهذيب /لابن حجر العسقلاني/جـ٢/رقم٧٢٤/صـ٨٣.
- والطيالسي في مسنده صـ١٣٦ رقم ١٠١٢ عن واثلة بن الأسقع.
- والطحاوي في شرح مشكل الآثار/جزء ٣/ رقم ١٣٧٩/صـ٤٠٩ .
- والطبراني في المعجم الكبير/جزء ٢٢/رقم١٨٦/صـ٧٥/وهو حديث صحيح.
- وأبوعبيد القاسم بن سلام في فضائل القرآن/٣٤-باب فضائل السبع الطوال رقم١-٣٤/صـ١١٩-١٢٠ عن واثلة بن الأسقع. بلفظ:"وأعطيت المئين مكان الإنجيل، وأعطيت المثاني مكان الزبور".
- والهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/سورة الحجر٧/٣٦/ وقال: رواه أحمد وفيه عمران القطان وثقه ابن حبان وغيره وضعفه النسائي وغيره، وبقية رجاله ثقات.
- انظر تفسير القرآن العظيم /لابن كثير/١/٣٤/ وقال: هذا حديث غريب وسعيد بن أبي بشير فيه لين. طبعة دار إحياء الكتب العربية – عيسى البابي الحلبي.

(٥) في سننه/كتاب الصلاة/باب مقدار الركوع والسجود/جـ١/حديث رقم٨٨٧/صـ٢٣٤.

(٦) في سننه/كتاب تفسير القرآن/ باب ومن سورة التين/جـ٥/رقم٣٤٠٥/صـ١١٣. وقال أبوعيسى:هذا حديث إنما يروى بهذا الإسناد عن هذا الأعرابي عن أبي هريرة ولا يسمى.

(٧) في مسنده/جزء ١٢/رقم٧٣٩١/صـ٣٥٣/الطبعة الأولى:١٩٩٧م.

عن أبي هريرة"رضي الله عنه" قال: قال رسول الله"صلى الله عليه وسلم": (من قرأ منكم "والتين والزيتون[1]" فانتهى إلى آخرها."أليس الله بأحكم الحاكمين[2]". فليقل: بلى وأنا على ذلك من الشاهدين.

ومن قرأ "لا أقسم بيوم القيامة[3]" فانتهى إلى قوله:"أليس ذلك بقادر على على أن يحيى الموتى[4]" فليقل: بلى.

وفي رواية الترمذي: "بلى وعزة ربنا".

ومن قرأ "والمرسلات عرفا"[5] فبلغ "فبأي حديث بعده يؤمنون"[6] فليقل: آمنا بالله.

وروى البغوي بسنده عن موسى بن أبي عائشة قال:كان رجل يصلي فوق بيته وكان إذا قرأ: "أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى"[7]. قال: سبحانك بلى فسألوه عن ذلك فقال: سمعته من رسول الله "صلى الله عليه وسلم".[8]

فكل ذلك يستحثنا على دوام قراءة سورة القيامة والنظر المتدبر في آياتها ومضامينها.

تاسعاً: مناسبة سورة القيامة للسورة قبلها وهي سورة المدثر:

إن من أهم جوانب المعرفة القرآنية التي اهتم بها المفسرون قديماً وحديثاً المناسبات بين سور القرآن وعلل ترتيبها في المصحف الشريف، حيث إن بيان ذلك فيه إظهار لإعجاز القرآن العظيم في ترتيبه وتأليفه وترابطه الحاصل

(1) سورة التين رقمها ٩٥: الآية ١.
(2) سورة التين رقمها ٩٥: الآية ٨.
(3) سورة القيامة رقمها ٧٥: الآية ١.
(4) سورة القيامة رقمها ٧٥: الآية ٤٠.
(5) سورة المرسلات رقمها ٧٧: الآية ١.
(6) سورة المرسلات رقمها ٧٧: الآية ٥٠.
(7) سورة القيامة رقمها ٧٥: الآية ٤٠.
(8) انظر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل /٤٢٦/٤/طبعة. دار المعرفة – بيروت.. بيروت..

بين سوره وآياته وكلماته.

ولإثبات أن ترتيب السور في المصحف الشريف توقيفي وليس باجتهاد من الصحابة – رضي الله تعالى عنهم– على الرأي الراجح المدعم بالأدلة.

وهذا يجعلنا نبين وجه المناسبة بين سورة القيامة وسورة المدثر السابقة لها.

[قال الإمام أبو جعفر ابن الزبير: لما تقدم قوله مخبراً عن أهل الكفر "وكنا نكذب بيوم الدين"(١)

ثم تقدم في صدر السورة قوله تعالى: "فإذا نقر في الناقور" إلى قوله تعالى:"غير يسير"(٢) والمراد به يوم القيامة. والوعيد به لمن ذكر بعد في قوله: "ذرني ومن خلقت وحيداً"(٣) الآيات ومن كان على حاله في تكذيب وقوع وقوع ذلك اليوم. ثم تكرر ذكره عند جواب من سئل بقوله:" ما سلككم في سقر"(٤) فبسط القول في هذه السورة في بيان ذكر ذلك اليوم وأهواله. وأشير إلى حال من كذب به في قوله تعالى:" يسأل أيان يوم القيامة"(٥) وفي قوله تعالى: أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه"(٦).

ثم أتبع ذلك بذكر أحوال الخلائق في ذلك اليوم (ينبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر)(٧)] (٨).

وفي روح المعاني للآلوسي: [ولما قال سبحانه وتعالى في آخر

(١) سورة المدثر رقمها ٧٤: الآية ٤٦.
(٢) سورة المدثر رقمها ٧٤: الآية ٨-١٠.
(٣) سورة المدثر رقمها ٧٤: الآية ١١.
(٤) سورة المدثر رقمها ٧٤: الآية ٤٢.
(٥) سورة القيامة رقمها ٧٥: الآية ٦.
(٦) سورة القيامة رقمها ٧٥: الآية ٣.
(٧) سورة القيامة رقمها ٧٥: الآية ١٣.
(٨) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ للبقاعي/٢١//٨٧، ٨٨/طبعة- الهند.

المدثر:"كلا بل لا يخافون الآخرة"[١] بعد ذكر الجنة والنار. وكان عدم خوفهم إياها لإنكارهم البعث ذكر جل وعلا في هذه السورة الدليل عليه بأتم وجه ووصف يوم القيامة وأهواله وأحواله ثم ذكر ما قبل ذلك من خروج الروح من البدن ثم ما قيل من مبدأ الخلق على عكس الترتيب الواقعي...] [٢].

ويمكنني أن أضيف إلى ما تقدم أن الله ـ عز وجل ـ ذكر الموت في سورة المدثر بقوله تعالى:"حتى أتانا اليقين"[٣] واليقين هو الموت على قول من قال بذلك.

فجاءت سورة القيامة ببيان حال الإنسان عند مقدمات الموت في قوله تعالى: "كلا إذا بلغت التراقي. وقيل من راق. وظن أنه الفراق. والتفت الساق بالساق"[٤].

ومناسبة أخرى فتح الله تعالى بها عليّ وهي أن الله ـ عز وجل ـ ذكر إعراض الكفار عن القرآن في سورة المدثر في قوله تعالى:"فما لهم عن التذكرة معرضين"[٥]. والمراد بالتذكرة القرآن مع أن القرآن قد توفرت فيه كل موجبات الإقبال عليه والاتعاظ به.

فذكر في سورة القيامة قوة شغف النبي"صلى الله عليه وسلم" بالقرآن وشدة تلقفه من جبريل عليه السلام وتعليم الله تعالى له كيفية التلقي، وذلك في قوله تعالى:"لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتبع قرآنه. ثم إن علينا بيانه"[٦].

والمتفحص لآيات السورة الكريمة يستطيع أن يستخرج من مضامينها

(١) سورة المدثر رقمها ٧٤: الآية ٥٣.
(٢) روح المعاني / للآلوسي/ ١٣٥/٢٩/طبعة- دار إحياء التراث العربي/ بيروت..
(٣) سورة المدثر رقمها ٧٤: الآية ٤٧.
(٤) سورة القيامة رقمها ٧٥: الآيات ٢٦-٢٩.
(٥) سورة المدثر رقمها ٧٤: الآية ٤٩.
(٦) سورة القيامة رقمها ٧٥: الآيات ١٦-١٩.

وجوهاً أخرى للمناسبة بينها وبين سورة المدثر.

عاشراً: مناسبة خاتمة سورة القيامة لفاتحتها:

إن مناسبة خاتمة السورة القرآنية لفاتحتها من الجوانب المهمة التي اهتم بها كثير من العلماء والمفسرين حيث إن في تقريرها وبيانها تجلية لوجه من وجوه الإعجاز القرآني فهو من المحسنات البديعية الذي يسميه علماء البلاغة:"رد العجز على الصدر" وهو في القرآن الكريم يفوق كل بلاغة بشرية ويسمو على كل كلام إنساني. وهذا ما تستحثنا على بيان وإظهار وجه المناسبة بين خاتمة سورة القيامة وفاتحتها.

وأرى أن المناسبة ظاهرة بينة واضحة في السورة الكريمة. فالله ـ عز وجل ـ قد اختتم السورة بقوله تعالى:"أيحسب الإنسان أن يترك سدى.ألم يك نطفة من مني يمنى.ثم كان علقة فخلق فسوى.فجعل منه الزوجين الذكر والأنثى.أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى"(١).

وفي مفتتح السورة الكريمة يقول تعالى:"لا أقسم بيوم القيامة.ولا أقسم بالنفس اللوامة.أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه.بلى قادرين على أن نسوي بنانه"(٢).

فقد أنكر الله ـ عز وجل ـ على الإنسان الكافر ظنه وحسبانه أنه خلق مهملاً لا يكلف ولا يجازي. ولا قيامة للمحاسبة والجزاء. وأقام ـ عز وجل ـ الأدلة على قدرته سبحانه على البعث وإحياء الناس للجزاء والحساب.

وهذا ما يتوافق ويتطابق أتم الموافقة وأكمل المطابقة مع فاتحة السورة الكريمة التي أقسم الله ـ عز وجل ـ فيها على وقوع البعث والجزاء وأنكر على الكافر المنكر حسبانه وظنه عدم قدرة الله تعالى على جمع عظامه بعد تفرقها وإحيائه بعد موته. وأقام الدليل على هذه القدرة.

(١) سورة القيامة رقمها ٧٥: الآيات ٣٦-٤٠.
(٢) سورة القيامة رقمها ٧٥: الآيات ١-٤.

فما أحكم الربط وما أكمل المناسبة وما أتم التطابق بين الخاتمة والفاتحة.

يقول البقاعي: [وقد رجع آخر السورة على أولها أتم رجوع والتأم به أتم التئام فتمت معانيها أعظم تمام بجمع العظام وإيجاد القيام ليوم التغابن والزحام أعاننا الله فيه بحسن الختام] (١).

وبعد هذه الدراسة التمهيدية لسورة القيامة انتقل إلى تفسيرها مع معية الله تعالى بالتوفيق والسداد والعون.

ويقول الطاهر بن عاشور: [وقد جاء في هذا الختام بِمُحَسِّن رد العجز على الصدر. فإن السورة افتتحت بإنكار أن يحسب المشركون استحالة البعث. وتسلسل الكلام في ذلك بأفانين من الإثبات والتهديد والتشريط والاستدلال.

إلى أن أفضى إلى استنتاج أن الله قادر على أن يحيى الموتى. وهو المطلوب الذي قدم في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾(٢).] (٣).

التفسير

(أولاً) : بيان تأكيد وقوع القيامة والرد على منكرها:

يقول تعالى:﴿ لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ. أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ. بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ. بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ. يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ الآيات من ١ – ٦.

■ المعنى الإجمالي:

يقسم الله عز و جل بقيام القيامة ووقوع الساعة التي يقع فيها الجزاء والحساب للناس على ما قدموا من خير أو شر ويقسم بالنفس التي تلوم

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/١١٨/٢١، ١١٩.
(٢) سورة القيامة رقمها ٧٥: الآيتان ٣، ٤.
(٣) تفسير التحرير والتنوير/٣٦٨/٢٩.

صاحبها على عدم الاستزادة من الخير أو على ما حصل منه من شر أو فساد. ثم ينكر سبحانه على المنكر لوقوع الساعة والبعث. أيظن الإنسان أننا لسنا قادرين على أن نجمع عظامه بعد تفرقها وتفتتها. ويرد عليه. بلى. نحن قادرون على ذلك وأكبر منه فنحن قادرون على أن نجمع أجزاءه مهما كانت صغيرة" على أن نسوى بنانه" ونؤلفها ونعيدها إلى مثل ما كانت عليه بعد تفرقها وصيرورتها عظاماً ورفاتاً.

وهذا لا يجهله الإنسان فهو مقر بذلك في فطرته ونفسه لكنه يريد أن يمضي قُدماً في المعاصي لا يثنيه عنها شيء ليدوم فجوره وعصيانه. وإرادته دوام الفجور تجعله يستبعد وقوع البعث والجزاء ويسأل سؤال تعنت وإنكار: متى يكون هذا اليوم؟ وهذا ما يجعله يرتكب أعظم الآثام.

■ شرح الألفاظ:

"لا" حرف مركب من لام وألف وتستعمل للعدم المحض وتكون للنفي وقد تدخل على كلام مثبت ويكون هو نافياً لكلام محذوف. [1] وقد حمل على ذلك قوله تعالى:"لا أقسم بيوم القيامة".

والمراد بها هنا على أرجح الأقوال أنها لنفي القسم لعدم احتياج المقسم عليه للقسم "أقسم" من القسامة وهي أيمان تقسم على أولياء المقتول ثم صار اسماً لكل حلف وهو المراد هنا. [2]

"يوم" اليوم يعبر به عن وقت طلوع الشمس إلى غروبها وقد يعبر به عن مدة من الزمان أي مدة كانت. [3]

والمراد به هنا: زمن وقوع القيامة والبعث والجزاء.

"القيامة" أصلها ما يكون من الإنسان من القيام دفعة واحدة.

(1) مفردات ألفاظ القرآن/للراغب الأصفهاني/٧٥٣.
(2) مفردات ألفاظ القرآن/للراغب الأصفهاني/٦٧٠.
(3) المرجع السابق/٨٩٤.

والقيامة عبارة عن قيام الساعة أدخل فيها الهاء تنبيهاً على وقوعها دفعة واحدة.[١]

"النفس" هي الروح[٢] أو الذات.

والمراد بها هنا:الأنفس اللوامة، لأن التعريف فيها للجنس[٣].

"اللوامة"مبالغة من اللوم وهو عذل الإنسان بنسبته إلى ما فيه لوم يقال لمته فهو ملوم. والمراد بها هنا النفس التي تكثر لوم صاحبها على التقصير في التقوى والطاعة أي تحاسب نفسها حساباً ينشأ عنه التوبة والتقوى[٤].

"يحسب" مضارع من الحِسبان وهو أن يحكم لأحد النقيضين من غير أن يخطر الآخر بباله. [٥]

"الإنسان" من الإنس خلاف الجن، والأُنس – بالضم– خلاف النفور.

وجمع الإنس أناس. ومنه الإنسان سمي بذلك لأنه خلق خلقه لا قوام له إلا بإنس بعضهم ببعض.

وقيل سمي بذلك لأنه يأنس بكل ما يألفه.

وقيل أصل "إنسان" إنسيان على وزن إفعلان.

سمي بذلك لأنه عهد الله إليه فنسى[٦].

والمراد به: إما جنس الإنسان الكافر، أو إنسان معهود كما ورد في الأثر.

"بلى" رد للنفي أو جواب لاستفهام مقترن بنفي.

وهي هنا أوجبت ما بعد النفي وهو الجمع فكأنه قيل:بل نجمعها[٧].

"قادرين" جمع قادر من القدرة وهي إذا وصف بها الإنسان فاسم لهيئة له

---

(١) المرجع السابق/٦٩١.
(٢) المرجع السابق/٨١٨.
(٣) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٣٨/٢٩.
(٤) مفردات ألفاظ القرآن /للراغب الأصفهاني/٧٥١.
(٥) المرجع السابق/٢٣٤.
(٦) مفردات ألفاظ القرآن/للراغب الأصفهاني /٩٤.
(٧) المرجع السابق/١٤٦.

بها يتمكن من فعل شيء ما.

وإذا وصف الله تعالى بها فهي لنفي العجز عنه ـ عز وجل ـ.

ولهذا لا احد غير الله يوصف بالقدرة من وجه إلا ويصح أن يوصف بالعجز من وجه آخر.

أما الله ـ عز وجل ـ فهو الذي ينتفي عنه العجز من كل وجه[١].

والمراد بالقدرة هنا القدرة المطلقة الفائقة الشاملة.

"نُسَوى" من تسوية الشيء جعله سواء[٢].والمراد: نركبها متساوية كما كانت مع دقة خلقها[٣].

"بنانه" اسم جمع بنانه والبنان أصابع اليدين والرجلين أو أطراف تلك الأصابع.قيل: سميت بذلك لأن بها صلاح الأحوال التي يمكن للإنسان أن يبنَّ بها أي يقيم بها[٤].

"بل" كلمة للتدارك. وهو ضربان: ضرب بناقض ما بعده ما قبله، لكن ربما يقصد به لتصحيح الحكم الذي بعده، وإبطال ما قبله وربما يقصد تصحيح الذي قبله وإبطال الثاني.

والضرب الثاني من "بل" هو أن يكون مبيناً للحكم الأول وزائداً عليه بما بعد بل. ومن هذا قوله تعالى:"بل يريد الإنسان ليفجر أمامه"[٥].

"ليفجر" مضارع فجر يفجر فجراً والفجر:شق الشيء شقاً واسعاً ومنه الفجور وهو شق ستر الديانة يقال: فجر فجوراً فهو فاجر ومنه قوله تعالى:"بل يريد الإنسان ليفجر أمامه" أي يريد الحياة ليتعاط الفجور فيها[٦].

(١) المرجع السابق/٦٥٧-٦٥٨.
(٢) المرجع السابق/٤٤٠.
(٣) تفسير سور المفصل من القرآن الكريم/عبد الله كنون/٢٩٠٠.
(٤) مفردات ألفاظ القرآن /للراغب الأصفهاني/١٤٧.
(٥) المرجع السابق/١٤١-١٤٢.
(٦) مفردات ألفاظ القرآن/للراغب الأصفهاني /٦٢٥-٦٢٦.

"يسأل" السؤال:استدعاء معرفة أو ما يؤدي إلى المعرفة ، واستدعاء مال أو ما يؤدي إلى المال.

والسؤال للمعرفة تارة يكون للاستعلام وتارة يكون للتبكيت والإنكار(١). وهو هنا على سبيل التعنت والاستبعاد والاستحقاق.

"أيان": عبارة عن وقت الشيء ويقارب معنى متى.

وقيل أصله: أيٌّ أوان أيْ أي وقت فحذف الألف ثم جعل الواو ياء فأدغم فصار أيان(٢).

ويقول مكي بن أبي طالب: [أيان ظرف زمان بمعنى متى وهو مبني وكان حقه الإسكان لكن اجتمع ساكنان الألف والنون ففتحت النون لالتقاء الساكنين – ككيف وأين–

وإنما وجب لأيان البناء لأنها بمعنى متى ففيها معنى الاستفهام.

فأشبهت حرف الاستفهام فبنيت إذ الحروف أصلها البناء] (٣).

■ <u>سبب النزول</u>:

لم يرو سبب للنزول إلا للآية الثالثة"أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه"

يقول البغوي:[نزلت في عدي بن ربيعة حليف بني زهرة ختن الأخنس بن شريق الثقفي. وكان النبي"صلى الله عليه وسلم" يقول":اللهم اكفني جارى السوء – يعني عدياً والأخنس.

وذلك أن عدي بن ربيعة أتى النبي "صلى الله عليه وسلم" فقال يا محمد حدثني عن القيامة متى تكون؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبره النبي "صلى الله عليه وسلم" بذلك– فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن بك أو يجمع الله العظام؟ فأنزل الله عز وجل: "أيحسب الإنسان ألن نجمع عظامه"]

(١) المرجع السابق/٤٣٧.
(٢) المرجع السابق/١٠٣.
(٣) مشكل إعراب القرآن/لأبي محمد مكي بن ابي طالب القيس/٧٧٧/٢.

.[1]

حكمة افتتاح السورة بهذه الآيات:

افتتحت سورة القيامة بهذه الآيات للإعلام بموضوع السورة وهو تقرير الحقائق الثلاثة:القيامة، والقرآن ، والموت ، تقريراً وتأكيداً يجعل قلب الإنسان يتجه إلى المسارعة لأداء التكاليف.

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور: [افتتاح السورة بالقسم مؤذن بأن ما سيذكر بعده أمر مهم لتستشرف له نفس السامع.. وكون القسم بيوم القيامة براعة استهلال لأن غرض السورة وصف يوم القيامة.

وفيه أيضاً كون المقسم به هو المقسَم على أحواله تنبيهاً على زيادة مكانته عند المقسِم] [2].

التفسير التحليلي للآيات

قوله تعالى:﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. قد اختلفت الأقوال في الحرف "لا" الواقعة قبل القسم في هذه الآية وفي غيرها من آيات القرآن الكريم[3].

فقيل: إن "لا" النافية الواقعة قبل القسم مزيدة لتأكيد معنى القسم لا لتأكيد النفي.

وقيل: إن "لا" مزيدة لتأكيد النفي في الجواب المنفي في مثل قوله تعالى: ﴿فلا وربك لا يؤمنون﴾ [4] ولتأكيد القسم في الجواب المثبت كما في آية سورة القيامة.

وقيل: إن "لا" تجيء رداً لكلام مضى ونفي شيء قد تقدم في سورة أخرى

---

(1) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل/ للبغوي/٤/٤٢١.
- وانظر أسباب نزول القرآن للواحدي/٤٧٧.

(2) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٢٩/٣٣٧.

(3) الآية ٦٥ من سورة النساء والآية ٧٥ من سورة الواقعة والآية ٣٨ ،٣٩ من سورة الحاقة والآية ٤٠ من سورة المعارج والآية ١من سورة البلد.

(4) سورة النساء رقمها ٤ : الآية ٦٥.

أو أمر يفهم من سياق الجملة التي ذكرت فيها: "لا" ثم يستأنف الكلام بقوله تعالى: "أقسم".

وقيل:إن "لا" زائدة توطئة وتمهيداً لنفي الجواب محذوفاً وتقديره في آية سورة القيامة:لا يتركون سدى.

وقيل: إن "لا"زيدت لمجرد التأكيد وتقوية الكلام كما في قوله تعالى: ﴿لِئَلا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ﴾[1]

وقيل:إن "لا" ليست نافية ولا زائدة، وإنما هي لام الابتداء اشبعت فتحتها فتولدت عنها ألف كقول الشاعر: "أعوذ بالله من العقراب".أشبعت فتحة الراء فيها فتولدت عنها ألف وإنما هي العقرب.

وعلى هذا قراءة الحسن البصري لآية سورة المعارج ﴿فلا أقسم برب المشارق والمغارب﴾[2] .

ولما كانت لام الابتداء لا تدخل على الفعل في قواعدهم قدروا دخولها في الآية على جملة من مبتدأ وخبر فيكون التقدير: "فلأنا أقسم ثم حذف المبتدأ. وقيل:إن "لا" جئ بها قبل القسم لنفي حاجته سبحانه وتعالى إلى القسم ومن نفى الحاجة إلى القسم يأتي التوثيق والتقرير لأنه يجعل المقام في غنى بالثقة واليقين عن الإقسام.[3]

والراجح في رأيي هذا القول الأخير وهو أن الله ـ عز وجل ـ ليس في حاجة إلى القسم على أمر من الأمور القاهرة الواضحة مثل وقوع يوم القيامة وتحققه وفي ذلك تأكيد وتوثيق وقوة تقرير.

---

(1) سورة الحديد رقمها ٥٧ : الآية ٢٩.
- انظر التفسير الكبير/للفخر الرازي/٢١٤/٣٠.
- والكشاف /للزمخشري/٦١/٤.
- والجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي/٩٢/١٩.

(2) سورة المعارج رقمها ٧٠:الآية٤٠.

(3) الإعجاز البياني للقرآن/للدكتورة عائشة عبد الرحمن /٢٨٣.
- وانظر مشكل إعراب القرآن/لأبي طالب القيسي/٧٧٦/٢.

"أقسم" أي أحلف والمقسِم هو الله ـ عز وجل ـ.

"بيوم القيامة" مقسَم به وهو يوم قيام الساعة وحصولها.

[والقسم "بيوم القيامة" باعتباره ظرفاً لما يجري فيه من عدل الله تعالى وإفاضة فضله وما يحضره من الملائكة والنفوس المباركة.

وجاز القسم بالشيء على وجوده إشارة إلى أنه في العظمة في الدرجة العليا فالمعنى حينئذ أنه لا شيء أدل على عظمة الله تعالى من هذين الشيئين فلذا أوقع القسم بهما وسر التأكيد بلا أن الإثبات من طريق النفي آكد كأنه رد على المنكر أولاً ثم أثبت القسم ثانياً فإن الجمع بين النفي والإثبات دليل الحصر] (١).

وقوله:﴿ وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾ .

الواو عاطفة لهذه الآية على الآية السابقة ، ولكن المفسرين اختلفوا أيضاً في "لا" هنا هل هي لنفي القسم والمعنى: انه أقسم سبحانه بيوم القيامة تعظيماً لشأنه ولم يقسم بالنفس.

وقيل: إنها رد آخر وابتداء قسم بالنفس اللوامة.

قال الثعلبي: والصحيح أنه أقسم بهما جميعاً(٢).

وهذا ما رجحه أيضاً الفخر الرازي فهو يقول:[أن "لا ههنا لنفي القسم كأنه قال: لا اقسم عليكم بذلك اليوم وتلك النفس ولكني أسألك غير مقسم أتحسب أنا لا نجمع عظامك إذا تفرقت بالموت فإن كنت تحسب ذلك فاعلم أنا قادرون على أن نفعل ذلك وهذا القول اختيار أي مسلم وهو الأصح] (٣).

وقوله:"بالنفس اللوامة" المراد بالنفس:جنس النفوس جميعها أي كل نفس برة أو فاجرة.

---

(١) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور / للبقاعي/٢١/٨٥.

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي/١٩/٩٢/طبعة الهيئة المصرية للكتاب .

(٣) التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٣٠/٢١٥/طبعة- دار الفكر– بيروت.

وقيل: إن النفس اللوامة هي النفوس المتقية التي تلوم النفوس العاصية يوم القيامة بسبب أنها تركت التقوى.

وقيل: إنها النفوس الشريفة التي تلوم نفسها على التقصير وإن اجتهدت في الطاعة.

وقيل: نفوس الأشقياء حين تشاهد أحوال القيامة[١].

وقيل: اللوامة: الملومة المذمومة.

وقال مقاتل: هي نفس الكافر يلوم نفسه ويتحسر في الآخرة على ما فرط في جنب الله.

وقال الفراء:ليس من نفس محسنة أو سيئة إلا وهي تلوم نفسها، فالمحسن يلوم نفسه أن لو كان ازداد إحساناً والمسيء يلوم نفسه ألا يكون ارعوى عن إساءته[٢].

وقيل: المراد بالنفس اللوامة" نفس آدم عليه السلام لأنه لم يزل لائماً لنفسه على معصيته التي أخرج بها من الجنة[٣].

ومن هذا العرض للأقوال في المراد بالنفس اللوامة يتبين لنا ما يأتي:

١- أن المراد بها العموم أي عموم نفوس بني آدم.

٢- أن المراد بها نفس خاصة هي نفس آدم عليه السلام.

٣- أن المراد بها نفس الكافر خاصة.

٤- أن المراد بها نفس المؤمن ونفس الكافر.

٥- أن اللوم يكون في الآخرة.

٦- أن اللوم يكون في الدنيا.

---

(١) انظر التفسير الكبير/للفخرالرازي/٣٠/٢١٥ ، ٢١٦ .

(٢) انظر الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي/١٩/٩٣.
- وانظر معالم التنزيل /للبغوي/٤/٤٢١.

(٣) المرجع السابق.

وهنا ينشأ سؤال وهو ما الرأي الراجح من جميع ذلك.

أقول: إن الرأي الراجح في نظري أن المراد نفوس المؤمنين عامة. لأن الكافر مختوم على قلبه فلا يأبه بعمل الكفر والعصيان والفسوق. وأن هذا اللوم يكون في الدنيا [لأن اللوم هو المحاسبة ولومها يكون بتفكيرها وحديثها النفس.

قال الحسن:" ما يرى المؤمن إلا يلوم نفسه على ما فات ويندم يلوم نفسه على الشر لِمَ فعله وعلى الخير لم لا يستكثر منه"(١). فهذه نفوس خيرة حقيقة أن تشرف بالقسم بها وما كان يوم القيامة إلا لكرامتها.

والمراد باللوامة في الدنيا لوماً تنشأ عنه التوبة والتقوى وليس المراد لوم الآخرة إذ "يقول يا ليتني قدمت لحياتي"(٢)] (٣).

والقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة ينبه إلى مكانتهما وعظمتهما وتضخيم أمرهما.

وهنا سؤال وهو ما المناسبة بين القيامة والنفس اللوامة حيث جمع بينهما في القسم؟.

ويجيب الإمام الفخر الرازي على ذلك بما خلاصته: [أن أحوال القيامة عجيبة جداً ثم المقصود من إقامة القيامة إظهار أحوال النفوس اللوامة أعني سعادتها وشقاوتها فقد حصل بين القيامة والنفوس اللوامة هذه المناسبة الشديدة.

ثم إن في القسم بالنفس اللوامة تنبيه على عجائب أحوال النفس] (٤).

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾(١)

---

(١) انظر الأثر في المرجع السابق.
- والدر المنثور في التفسير بالمأثور/ للسيوطي/٦/٢٨٧.
(٢) سورة الفجر رقمها ٨٩:الآية٢٤.
(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير/٢٩/٣٣٨، ٣٣٩ .
(٤) بتصرف من التفسير الكبير/للفخر الرازي/٣٠/٢١٦/طبعة:دار الفكر – بيروت.

بعد الإشارة إلى تعظيم وتفخيم أمر القيامة والنفس اللوامة أتبع ذلك بيان إنكار الإنسان الكافر ليوم القيامة مع ظهور دلائله وبراهينه فقال تعالى: ﴿ أَيَحْسَبُ﴾ الآية.

قيل: ﴿أَيَحْسَبُ﴾ جواب القسم. وقيل: ﴿أَيَحْسَبُ﴾ دليل الجواب.

والجواب محذوف تقديره: "ليبعثن" وقيل:الجواب قوله: ﴿بَلَى قَادِرِينَ﴾ وكونها دليل الجواب هو الراجح عند أكثر المفسرين(٢).

والهمزة في﴿أَيَحْسَبُ﴾ للاستفهام الإنكاري للواقع واستقباحه والتوبيخ عليه. وعبر بالحسبان للإشارة إلى أن إنكار الكافر للقيامة مبني على رأي لا دليل له عليه أو على شبهة باطلة[أي لم يكن هذا الحسبان الفارغ عن الأمارة المنافي لحق اليقين وصريحه](٣).

والمراد بالإنسان الجنس وأسند الحسبان إلى النوع كله لأن أكثرهم كذلك لغلبة الحظوظ على العقل إلا من عصم الله(٤).

﴿أَلَّن نَجْمَعَ﴾ أن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف أي أيحسب أن الشأن لن نجمع بعد التفرق عظامه.

والجملة الواقعة بعد "أن" خبر عن ضمير الشأن.

[وجيء بحرف لن الدال على تأكيد النفي لحكاية اعتقاد المشركين استحالة جمع العظام بعد رمامها وتشتتها](٥).

وجوز أن يكون التعريف في الإنسان للعهد والمراد به عدي بن أبي ربيعة الذي وردت قصته في سبب النزول(٦).

---

(١) سورة القيامة رقمها ٧٥:الآية٣.
(٢) انظر روح المعاني /للآلوسي/١٣٧/٢٩.
(٣) المرجع السابق/١٣٧/٢٩.
(٤) انظر نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ للبقاعي/٨٧/٢١.
- وروح المعاني /للآلوسي/١٣٧/٢٩.
(٥) انظر تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٣٩/٢٩.
(٦) انظر روح المعاني/للآلوسي/١٣٧/٢٩.

[والجمهور على قراءة:﴿ نَجْمَعَ﴾ بنون العظمة وعظامَه نصب مفعولاً به.

وقرأ قتادة: تجمع بناء من فوق مضمومة على ما لم يسم فاعله وعظامه بالرفع لقيامه مقام الفاعل] [1].

والمراد بالعظام نفسه أي جسده كله وخصت العظام بالذكر لأنها قالب النفس لا يستوي الخلق إلا باستوائها[2].

[أو خصت بالذكر لحكاية أقوالهم كما في قوله تعالى:﴿ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾[3] .

وقوله تعالى:﴿ أَءِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا أَإِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾[4] .

فهم احتجوا باستحالة قبول العظام للإعادة بعد البلى على أن استحالة إعادة اللحم والعصب والفؤاد بالأول. فإثبات إعادة العظام اقتضى أن إعادة بقية الجسم مساو لإعادة العظم وفي ذلك كفاية من الاستدلال مع الإيجاز][5].

﴿ بَلَى﴾ إيجاب لما بعد النفي المنسحب عليه الاستفهام[6].

وفيه إبطال للنفي الذي دل عليه " لن نجمع عظامه" والمعنى: بل نجمع عظامه بعد تفرقها ورجوعها رميماً ورفاتاً في بطون البحار وفسيحات الصغار وحيثما كانت حال كوننا[7].

﴿قَادِرِينَ﴾ فقادرين حال من فاعل الفعل المقدر بعد بلى الذي يدل عليه قوله:﴿ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ أي بل نجمعها في حال قدرتنا على أن نسوى

(1) انظر الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون/ للسمين الحلبي/٦/٤٢٦.
(2) تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل/ ٤/٤٢١.
(3) سورة يس رقمها٣٦:الآية٧٨.
(4) سورة الإسراء رقمها١٧:الآية ٤٩.والآية٩٨.
(5) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٢٩/٣٤٠/ بتصرف.
(6) الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون للسمين الحلبي/٦/٤٢٦.
(7) روح المعاني/للآلوسي/٢٩/١٣٧.

بنانه[١].

وقيل انتصب (قادرين) لأنه وقع في موقع نقدر والتقدير:بل نقدر فلما وضع الاسم موضع الفعل نصب وهو قول بعيد عن الصواب[٢].

وقيل منصوب على أنه خبر كان أي بلي كنا قادرين في البدء أفلا نقدر على الإعادة[٣].

وقرأ ابن السميقع: قادرون أي نحن قادرون.

وقدرة الله عز و جل هي المطلقة الشاملة التي لا يعجزها شيء .

﴿أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ أن نعيد خلقه مقومة متقنة. والبنان الأصابع قيل:سميت بذلك لأن بها صلاح الأحوال التي يمكن للإنسان أن يبن بها يريد أن يقيم بها.

وإنما خص البنان بالذكر لأنه آخر ما يتم خلقه فكأنه قيل: نقدر على ضم سلاماته على صغرها ولطافتها بعضها إلى بعض كما كانت أولاً من غير نقصان ولا تفاوت فكيف القول في كبار العظام[٤].فنبه سبحانه وتعالى بالبنان بالبنان على بقية الأعضاء[٥].

قوله تعالى:﴿ بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ معطوف على قوله: ﴿ أَيَحْسَبُ﴾ جيء به للإضراب عن إنكار الحسبان إلى الإخبار عن حال الإنسان الحاسب بما هو أدخل في اللوم والتوبيخ من الأول كأنه قيل: دع تعنيفه فإنه أشط من ذلك.

وأنى يرتدع وهو يريد أن يدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات

---

(١) المرجع السابق.
- والتحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٤٠/٢٩.
- ومشكل إعراب القرآن/لمكي بن أبي طالب/٧٧٧.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق.
(٤) انظر التفسير الكبير/للفخر الرازي/٢١٨/٣٠.
(٥) المرجع السابق.

وفيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه.

أو هو معطوف على "يحسب" منسحباً عليه الاستفهام[١].

والعطف ببل يفيد أنه إضراب انتقالي إلى ذكر حال آخر من أحوال فجور الإنسان.

[وأظهر "الإنسان" في موضع الإضمار للتصريح بالتعميم لمقتضى الطبع الموجب له عدم الفكر في الآخرة مع شدة ظهورها لأنه معنى بشهواته فلا نجاة إلا بعصمة الله تعالى.

وحذف مفعول"يريد" إشارة إلى أن كل ما يريده بمقتضى طبعه وشهواته خارج عن طوره فهو معاقب عليه لأنه عبد] [٢].

وأعيد لفظ "الإنسان" إظهاراً في مقام الإضمار لأن المقام لتقريعه والتعجيب من ضلاله.

وكرر لفظ "الإنسان" في هذه السورة خمس مرات لذلك.

مع زيادة ما في تكرره في المرة الثانية والمرتين الرابعة والخامسة من خصوصية لتكون تلك الجمل الثلاث التي ورد ذكره فيها مستقلة بمفادها] [٣].

وقوله: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ تعليل لإرادة الإنسان الخارجة عن الأمر لأنها معصية.أي تقع منه الإرادة ليقع منه الفجور وفعل السوء الشديد ويطلق على الكذب.

ومعنى: ﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ أي ليدوم على فجوره فيما يستقبله من الزمان لا ينزع عنه. أو ليكذب بما أمامه من البعث والحساب.

عن ابن عباس: ليفجر أمامه:يعني الأمل يقول الإنسان أعمل ثم أتوب.

---

(١) انظر روح المعاني/للآلوسي/١٣٧/٢٩.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/للبقاعي/٩٠/٢١.
(٣) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٤٢/٢٩.

قيل يوم القيامة. ويقال هو الكفر بالحق بين يدي القيامة.

وقال مجاهد: ليمضى أمامه راكباً رأسه.

وقال الحسن: لا يلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قدماً قدماً إلا من عصمه الله تعالى.

وروى عن غير واحد من السلف:هو الذي يعجل الذنوب ويسوف التوبة وعن ابن عباس: هو الكافر يكذب بيوم الحساب[١].

يقول ابن كثير بعد ذكره لكل هذه الأقوال: [وهذا هو الأظهر من المراد ولهذا قال بعده: "يسأل أيان يوم القيامة" أي يقول متى يكون يوم القيامة] [٢].

أقول: ولا مانع من أن يكون جميع الأقوال مرادة.فإنها جميعها أثر الكفر بيوم القيامة والتكذيب بيوم الحساب.

قوله تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ بعد أن بين الله ـ عز وجل ـ أن الكافر المكذب بيوم القيامة متلبساً دائماً بالفجور والمعاصي أتبع ذلك ببيان نتيجة هذا الفجور والفساد وهو الاستهزاء والاستبعاد لوقوع يوم القيامة فقال تعالى: ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ فسؤاله سؤال استبعاد وتكذيب لوقوعه وحصوله. وجملة ﴿يَسْأَلُ أَيَّانَ... ﴾ تفسير لقوله:﴿لِيَفْجُرَ﴾ فيحتمل أن يكون مستأنفاً مفسراً وأن تكون بدلاً من الجملة قبلها. لأن التفسير يكون بالاستئناف وبالبدل[٣].

[واختار المحققون أنه استئناف بياني جيء به تعليلاً لإرادة الدوام على الفجور إذ هو في معنى:لأنه أنكر البعث واستهزأ به.

(١) انظر تفسير القرآن العظيم/ لابن كثير/٤٧٨/٤.
(٢) المرجع السابق.
(٣) الدرر المصون في علوم الكتاب المكنون/ للسمين الحلبي/١٢٦/٦.

وفيه أن من أنكر البعث لا محالة يرتكب أشد الفجور] [1].

والسائل هو الكافر المنكر لوقوع القيامة﴿ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ أي متى يكون؟

وإنكار البعث والقيامة ينشأ إما من الشبهة وإما من الشهوة.

أما من الشبهة فهو الذي حكاه الله تعالى بقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴾ .

وأما من الشهوة فهو الذي حكاه الله تعالى بقوله:﴿ بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَه﴾ .

ومعناه: أن الإنسان الذي يميل طبعه إلى الاسترسال في الشهوات والاستكثار من اللذات لا يكاد يقر بالحشر والنشر وبعث الأموات لئلا تتنغص عليه اللذات الجسمانية فيكون أبداً منكراً لذلك قائلاً على سبيل الهزء والسخرية ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ [2].

(ثانياً): بيان تأثير القيامة في أعيان العالَم وحال المنكر في هذا اليوم :

يقول تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ. وَخَسَفَ الْقَمَرُ. وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ. يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ. كَلا لا وَزَرَ. إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ. يُنَبَّأُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ. بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ الآيات من ٧ – ١٥.

■ المعنى الإجمالي:

بعد أن نوه الله ـ عز وجل ـ بيوم القيامة وبالنفس اللوامة وبين دلائل قدرته تعالى على بعث الإنسان وجزائه وبين استبعاد الإنسان الكافر لهذا اليوم ليدوم على فجوره وعصيانه.

أتبع ذلك ببيان علامات يوم القيامة وتأثيرها في أعيان العالم لردع

(1) روح المعاني/للآلوسي/١٣٨/٢٩.
(2) بتصرف من الفخر الرازي/٢١٨/٣٠، ٢١٩ .

وتخويف المنكرين لها.

فقال ما معناه: إذا تحير بصر الإنسان ودهش وشخص فلم يَطْرُفْ من شدة الهول وفظاعة ما يشاهد من أمارات وعلامات القيامة وتأثيرها في المخلوقات.

كذهاب ضوء القمر وأدركت الشمس القمر وطلعا من المغرب أسودين مكورين مظلمين.

عندئذ يتساءل الإنسان الكافر لدهشته وحيرته أين الملجأ والمهرب من جهنم.

فيجاب بالردع والزجر كلا لا شيء لك تقتحم به من حصن أو جبل أو سلاح يحميك من هذا العذاب.

إلى الله تعالى وحده المرجع والمصير وإلى مشيئته إن شاء أدخلك الجنة وإن شاء أدخلك النار. وفق أعمالك التي قدمتها.

وعند العرض والحساب ووزن الأعمال يخبر الإنسان بجميع أعماله قديمها وحديثها. أولها وآخرها صغيرها وكبيرها.

ولا يكون للإنسان في هذا اليوم من شاهد إلا نفسه فهو الحجة البينة على نفسه فلا يحتاج إلى شاهد غير نفسه.

فسمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه شاهدة عليه.

وسيجازى على أعماله السيئة مهما أتى بالمعاذير والحجج.

■ <u>شرح الألفاظ</u>:

﴿بَرِقَ﴾ من البرق وهو لمعان السحاب يقال: بَرِق وأبرَق وبَرَق. يقال في كل ما يلمع. وبَرَق وبَرِقَ يقال في العين إذا اضطربت وجالت من خوف[1]. والمراد هنا: الفزع

(1) مفردات ألفاظ القرآن / للراغب الأصفهاني/ ١١٨ ، ١١٩.

والتحير والرعب.

﴿خَسَفَ﴾ الخسوف للقمر والكسوف للشمس وقال بعضهم: الكسوف فيهما إذا زال بعض ضوئهما والخسوف إذا ذهب كله[١].

والمراد هنا: ذهب ضوؤه.

﴿جُمِعَ﴾ الجمع: ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض يقال جمعته فاجتمع.

والمراد هنا: التكوير وهو إدارة الشيء وضم بعضه إلى بعض[٢].

والمراد هنا: التصاق القمر بالشمس وأدرك كل واحد منهما صاحبه. وطلعا من المغرب.

﴿الْمَفَرُّ﴾ مصدر موضع الفرار ووقته والفرار نفسه من فررت فراراً.والمراد به الملجأ والموئل[٣].

﴿ كَلا﴾ ردع وزجر وإبطال لقول القائل[٤]. وهو المراد هنا.

﴿ وَزَرَ﴾ الملجأ الذي يلتجأ إليه من الجبل[٥].

والمراد هنا: المكان الذي يلجأ إليه للتوقي من إصابة مكروه مثل الجبال والحصون[٦].

﴿الْمُسْتَقَرُّ﴾ مصدر ميمي من استقر إذا قر في المكان

(١) مفردات ألفاظ القرآن/للراغب الأصفهاني /٢٨٢.
(٢) المرجع السابق /٢٠١ ، ٧٢٩.
(٣) انظر تفسير التحرير والتنوير /لابن عاشور/ ٣٤٥/٢٩، ومفردات ألفاظ القرآن/ للراغب الأصفهاني/٦٢٨.
(٤) مفردات ألفاظ القرآن/ لراغب الأصفهاني/٧٢٥.
(٥) المرجع السابق/٨٦٧.
(٦) انظر تفسير التحرير والتنوير /لابن عاشور/٣٤٦/٢٩.

ولم ينتقل والسين والتاء للمبالغة في الوصف [1].[من قر في مكانه يقر قراراً إذا ثبت ثبوتاً جامداً واستقر فلان إذا تحرى القرار][2].

﴿ ينبؤ﴾ مضارع مبني للمجهول من أن أنبأته بكذا أي أخبرته.

[والنبأ: خبر ذو فائدة عظيمة يحصل به علم أو غلبة ظن.ولا يقال للخبر في الأصل نبأ حتى يتضمن هذه الأشياء الثلاثة.وحق الخبر الذي يقال فيه نبأ أن يتعرى عن الكذب كالتواتر. وخبر الله تعالى وخبر النبي عليه الصلاة والسلام][3]. والمراد به هنا : إخبار الإنسان بجزائه حين العرض والحساب.

﴿ بَصِيرَةٌ﴾ قوة القلب المدركة وجمعها بصائر.

والمراد: علمه من جوارحه بصيرة تبصره فتشهد له وعليه يوم القيامة[4].

﴿مَعَاذِيرَهُ﴾ جمع معذرة بمعنى العذر على خلاف القياس والقياس معاذر بغير ياء[5].

والعذر:تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه[6] وهو المراد هنا، وقيل المراد: الستور والحجب[7].

مناسبة الآيات لما قبلها

---

(1) المرجع السابق.
(2) مفردات ألفاظ القرآن/ للراغب الأصفهاني/٦٦٢.
(3) المرجع السابق/٧٨٨ ، ٧٨٩
(4) مفردات ألفاظ القرآن/للراغب الأصفهاني/١٢٧.
(5) روح المعاني/ للآلوسي /١٤١/٢٩.
(6) مفردات ألفاظ القرآن/ للراغب الأصفهاني/٥٥٥.
(7) روح المعاني/للآلوسي/٢٩ ، ١٤١.

بعد أن ذكر الله ـ عز وجل ـ تقرير وتأكيد وقوع يوم القيامة وعظمها مع النفس اللوامة، واثبت قدرته تعالى على بعث الناس وإحيائهم بعد تفتتهم وتفرقهم وأبان أن المنكر للقيامة يظن ذلك ليدوم فجوره وعصيانه ، ولذلك يتساءل منكراً ومستبعداً وقوعها ﴿أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ .

بعد ذلك جاءت الآيات مبينة سبب استبعاده وإنكاره موضحة ماذا يحدث للمخلوقات في ذلك اليوم أو حال الكافر والمنكر من الهول والفزع وماذا يكون أمره عندما يواجه بأعماله عند الوزن والحساب؟ فيقول تعالى:﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ ....﴾. الآيات ٧- ١٥.

التفسير التحليلي للآيات

قوله تعالى:﴿ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ﴾ أي إذا تحير واندهش الكافر أو الإنسان عامة من هول ما يحيط به فشخص ولم يطرف من شدة الفزع والرعب عند حلول القيامة وقيام القيامة.

وهذا تهديد جيء به بدلاً من تعيين وقت قيام الساعة المسئول عنه لأنهم لم يكونوا جادين في سؤالهم وإنما كانوا مستهزئين مستبعدين فكان من مقتضى حالهم أن ينذروا بما يقع من الأهوال عند حلول هذا اليوم[١].

والفاء لتفريع الجواب عن السؤال[٢].

و﴿ بَرِقَ﴾ قرئ بفتح الراء وكسرها قيل: هما لغتان في التحير والدهشة.

وقيل: برق بكسر الراء. تحير فزعاً. وبَرق بفتح الراء من البريق أي لمع من شدة شخوصه. وكل ذلك كناية عن الفزع والرعب.

والمقصود أن الأبصار تنبهر وتندهش يوم القيامة وتخشع وتتحير وتذل من شدة الأهوال ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور.

[والتعريف في "البصر" للجنس المراد به الاستغراق أي أبصار الناس كلهم

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير/ لابن عاشور/٣٤٤/٢٩.
(٢) المرجع السابق.

من الشدة الحاصلة في ذلك الوقت على أنهم متفاوتون في الرعب الحاصل لهم على تفاوتهم فيما يعرضون عليه من طرائق منازلهم] [١] .

وقوله تعالى:﴿وَخَسَفَ الْقَمَرُ﴾ بيان لبعض ما يقع في ذلك اليوم من الأهوال وتغير أحوال الخلق.وخسوف القمر أريد به ذهاب ضوئه وانطماس نوره انطماساً مستمراً بسبب تزلزله من مداره حول الأرض الدائرة حول الشمس لا ينعكس عليه نورها ولا يلوح للناس نيراً[٢].

أو ذهب ضوؤه من غير سبب لزوال ربط المسببات في ذلك اليوم بالأسباب وظهور الخوارق[٣]. بدليل قوله:﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ وبدئ بما يحدث للقمر وهو من آيات السماء لأن ذلك أخوف وأدخل في الرعب والترهيب.

وقوله:﴿ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ فسرها بعضهم بقوله تعالى:﴿ إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ. وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾ [٤] أي جمعت بعضها إلى بعض، وتدهورت وسقطت وتناثرت النجوم وذهب نورها.

وقيل المعنى: التصاق القمر بالشمس. وقيل أدرك كل واحد منهما صاحبه وطلعا من المغرب أسودين مكورين مظلمين كأنهما ثوران عقيران. وقيل: يجمع بينهما في ذهاب الضوء. وقال عطاء بن يسار: يجمعان يوم القيامة ثم يقذفان في البحر فيكونان نار الله الكبرى[٥].

ولا تضاد بين هذه الأقوال لأن مرجعها كلها إلى تغير وضعهما وتزلزل خلقهما وزوالهما من فلكهما وعدم الانتفاع بهما.

[وبنى الفعل "وَجُمِعَ" للمفعول لأن المهول مطلق جمعهما المخرج لهما

---

(١) تفسير التحرير والتنوير/ لابن عاشور/ ٣٤٤/٢٩.
(٢) المرجع السابق.
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ للبقاعي/٩٢/٢١.
(٤) سورة التكوير رقمها ٨١: الآيتان ١ ، ٢ .
(٥) انظر تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل/٤٢٢/٤ .

عن العادة وللدلالة على السهولة][1].

ولما عظم أمر القيامة بما تقدم أكد ذلك أن الأمر فيه على غير ما نعهده في الدنيا من وجدان مهرب أو حاكم غير الذي يخافه المطلوب] [2].

أو نقول: إن هذه الأهوال العظام والشدائد الجسام التي أدهشت قلب الكافر المنكر أرعبته وأفزعته حتى جعلته في تحير من شدة الأمر عليه جعلته يقول: أين المفر؟

وهذا ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ أي يقول الإنسان الكافر المنكر المستبعد لوقوع القيامة.

﴿يَوْمَئِذٍ﴾ أي يوم القيامة فهو ظرف متعلق بيقول.

﴿أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ وقوله هذا ناشيء من شدة الرعب والفزع التي أحاطت به، أي اين مكان الفرار والزمان القابل لذلك. وهل من ملجأ أو موئل تكون فيه النجاة.

[ولما كان ذلك اليوم يوم انقطاع الأسباب قال نافياً بما سأل عنه بأداة الردع "كلا" أي لا يقال هذا فإنه لا سبيل إلى وجود معناه] [3].

﴿لا وَزَرَ﴾ لا ملجأ ولا معتصم ولا حصن.

[قال ابن مسعود وابن عباس وسعيد بن جبير وغير واحد من السلف: أي لا نجاة][4].

وهذه الآية كقوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ﴾ [5] أي ليس لكم مكان تتنكرون فيه.

وقوله تعالى: ﴿كَلا لا وَزَرَ﴾ كلام مستأنف من جانب الله تعالى جواباً

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ للبقاعي/٢١/٩٢ .
(2) المرجع السابق/٢١/٩٣ .
(3) المرجع السابق.
(4) تفسير القرآن العظيم/لابن كثير/٤/٤٧٨ .
(5) سورة الشورى رقمها ٤٢ :الآية٤٧ .

لمقالة الإنسان أي لا وزر لك.وعلى هذا ينبغي الوقف على كلمة المفر.

ويحتمل أن تكون من تمام قول الإنسان كأنه بعد أن يقول: أين المفر يعود على نفسه فيستدرك ويقول: ﴿كَلا لا وَزَرَ﴾ [١].

وقوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ استئناف كالتعليل للجملة قبله أو تحقيق وكشف لحقيقة الحال. [٢] فهو كلام من جانب الله تعالى.والخطاب فيه لسيد المخاطبين رسول الله محمد ﷺ في الدنيا بقرينة قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ فهو اعتراض وإدماج للتذكير بملك ذلك اليوم.

وفي إضافة"رب" إلى ضمير النبي ﷺ إيماء إلى أنه ناصره يومئذ بالانتقام من الذين لم يقبلوا دعوته.

وتقديم الجار والمجرور﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ لإفادة الحصر.أي لا ملجأ يومئذ للإنسان إلا منتهياً إلى ربك وحده.

والمراد بالمستقر:الاستقرار بمعنى أنهم لا يقدرون أن يستقروا إلى غيره كما قال تعالى:﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾[٣] وقوله: ﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾ [٤]، وقوله:﴿أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾[٥] و﴿وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنتَهَى﴾[٦].

أو المراد: إلى ربك وحده مستقرهم أي موضع قرارهم من جنة أو نار. أي مفوض ذلك إلى مشيئته من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار[٧].

وقوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ استئناف بياني ناشيء من قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ﴾ . أو بدل اشتمال من مضمون

---

(١) انظر روح المعاني / للآوسي/١٤٠/٢٩ - والدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ للسمين الحلبي/٤٢٨/٦ .
(٢) انظر روح المعاني / للآلوسي/١٤٠/٢٩
(٣) سورة العلق رقمها ٩٦: الآية٨.
(٤) سورة النور رقمها ٢٤: الآية ٤٢.
(٥) سورة الشورى رقمها ٤٢: الآية٥٣.
(٦) سورة النجم رقمها ٥٣: الآية٤٢ .
(٧) انظر التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٢٢١/٣٠ .

تلك الجملة: أي إلى الله مصيرهم وفي مصيرهم ينبؤون بما قدموا وما أخروا. (١)

والمراد بالإنباء ﴿يُنَبَّؤ﴾ أي يخبر ويجازى على ما فعله إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

فيخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها أولها وآخرها صغيرها وكبيرها. والمراد باليوم في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة عند وزن الأعمال.

يقول الفخر الرازي: [واعلم أن الأظهر أن هذا الإنباء يكون يوم القيامة عند العرض والمحاسبة ووزن الأعمال. ويجوز أن يكون عند الموت. وذلك أنه إذا مات بين له مقعده من الجنة والنار] (٢).

والمراد بالإنسان عموم الجنس لأن كل إنسان ينبأ بما قدم وأخر ويدخل الكافر دخولاً أولياً لأنه المقصود بالكلام.

قوله تعالى:﴿ بَلِ الإنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ إضراب انتقالي وهو للترقي من مضمون "ينبأ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر" إلى الإخبار بأن الكافر يعلم ما فعله لأنهم تشهد عليهم ألسنتهم وايديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون.

يقول الفخر:[اعلم أنه تعالى لما قال: "ينبأ الإنسان يومئذ" بأعماله. قال: بل لا يحتاج إلى أن ينبئه غيره.وذلك لأن نفسه شاهدة بكونه فاعلاً لتلك الأفعال مقدماً عليها] (٣).

والمراد بكون الإنسان بصيرة على نفسه جعله في نفسه بصيرة. أي الإنسان على نفسه من نفسه بصيراً ورقيباً. [لأن الإنسان بضرورة عقله يعلم أن ما يقربه إلى الله تعالى ويشغله بطاعته وخدمته فهو السعادة.وما يبعده عن طاعة الله تعالى ويشغله بالدنيا ولذاتها فهو الشقاوة.

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير/ لابن عاشور/٣٤٤/٢٩ .
(٢) التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٢٢١/٣٠ .
(٣) المرجع السابق.

أو المراد أن جوارحه تشهد عليه بما عمل فهو شاهد على نفسه بشهادة جوارحه][1].

وقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ في موضع الحال من المبتدأ وهو الإنسان وهي حالة أجدر بثبوت معنى عاملها عند حصولها.[2]

﴿وَلَوْ﴾ هذه وصلية جيء بها لمجرد الوصل والربط في مقام التأكيد[3].

[والإلقاء: طرح الشيء حيث تلقاه أي تراه ثم صار في التعارف اسماً لكل طرح][4].

والمراد به الإخبار الصريح على وجه الاستعارة[5].

و ﴿مَعَاذِيرَهُ﴾ جمع معرف بالإضافة يدل على العموم. جمع معذرة بمعنى العذر. أي ولو جاء بكل عذر يعتذر به عن نفسه.

وقيل: المعاذير الستور والمعنى ولو أرخى ستوره. والمعنى: أن احتجابه في الدنيا واستتاره لا يغني عنه شيئاً لأن عليه من نفسه بصيرة. ومن المعاذير التي يعتذر بها الكفار ما جاء في مثل قوله تعالى:﴿ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ. لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [6] ومنها قوله تعالى: ﴿مَا جَاءنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ﴾ [7] وقولهم: ﴿رَبَّنَا هَؤُلاء أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ﴾[8] وغير ذلك من المعاذير التي لا تنفعهم في ذلك اليوم الشديد الوقع

(1) انظر التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٣٠/٢٢١ ، ٢٢٢ .
(2) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٢٩/٣٤٨. - وانظر الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/ للسمين الحلبي/٦/٤٢٩.
(3) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣/٤٠٦ عند تفسير الآية ٩١ من سورة آل عمران.
(4) مفردات ألفاظ القرآن/ للراغب الأصفهاني/٧٤٥ .
(5) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٢٩/٣٤٨.
(6) سورة المؤمنون، رقمها ٢٣: الآيتان ٩٩ ، ١٠٠.
(7) سورة المائدة، رقمها ٥: الآية ١٩.
(8) سورة الأعراف، رقمها ٧: الآية ٣٨.

على الكفار والمكذبين[١].

الحكم الفقهي المستنبط من الآيات

استنبط العلماء والمفسرون من قوله تعالى: ﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ. وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ [٢]. دليلاً على قبول إقرار المرء على نفسه، لأنها لأنها شهادة منه عليها. [٣]

وضموا إلى هذه الآية للاستدلال على هذا الحكم:

١- قوله تعالى:﴿ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٤]

٢- وقوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾[٥].

٣ - وقوله تعالى:﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُواْ عَمَلاً صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا﴾[٦].

يقول ابن قدامه في [كتاب الإقرار بالحقوق:

الإقرار: هو الاعتراف والأصل فيه الكتاب والسنة والإجماع.

■ أما الكتاب فقوله تعالى:﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ﴾ إلى قوله:﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا﴾[٧] .

---

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٤٨/٢٩.
(٢) سورة القيامة، رقمها ٧٥: الآيتان ١٤ ، ١٥.
(٣) انظر أحكام القرآن/لابن العربي/١٨٩٠/٤.
(٤) سورة النور، رقمها ٢٤: الآية ٢٤.
(٥) سورة آل عمران، رقمها ٣: الآية ٨١.
(٦) سورة التوبة، رقمها ٩: الآية ١٠٢.
(٧) سورة آل عمران، رقمها ٣: الآية ٨١.

وقال تعالى: ﴿ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُواْ بِذُنُوبِهِمْ﴾[1].

وقال تعالى:﴿ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَى﴾[2].

في آي كثيرة مثل هذا.

■ وأما السنة: فما روى أن ما عزاً أقر بالزنا فرجمه رسول الله ﷺ وكذا الغامدية، وقال: (واغد يا أنيس على امرأة هذا، فإن اعترفت فارجمها) [3].

■ وأما الإجماع: فإن الأئمة أجمعت على صحة الإقرار.

ولأن الإقرار إخبار على وجه ينفي عنه التهمة والريبة، فإن العاقل لا يكذب على نفسه كذباً يضر بها.

ولهذا كان آكد من الشهادة. فإن المدعى عليه إذا اعترف لا تسمع عليه الشهادة. وإنما تسمع إذا أنكر.

ولو كذب المدعي بينته لم تسمع. وإن كذب المقر ثم صدقه سمع.

ولا يصح الإقرار إلا من عاقل مختار.

فأما الطفل والمجنون والمبرسم والنائم والمغمي عليه فلا يصح إقرارهم لا نعلم في هذا خلافاً][4].

ثالثاً : بيان المبادرة إلى الاستماع إلى القرآن وآداب سماعه وتلقيه:

يقول تعالى: ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴾ الآيات من ١٦ – ١٩.

(1) سورة التوبة، رقمها ٩: الآية ١٠٢.
(2) سورة الأعراف، رقمها ٧: الآية ١٧٢.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه/٨٦- كتاب الحدود/٣٠- باب الاعتراف بالزنا- رقم٦٨٢٨/ صـ٨٣٣- والترمذي : كتاب الحدود/ باب ما جاء في الرجم على الثيب/٤/رقم١٤٣٣/صـ٣٩-٤٠/ وقال: حديث (أبي هريرة وزيد بن خالد حديث حسن صحيح).
(4) المغني/لابن قدامه/١٤٩/٥.

■ **المعنى الإجمالي للآيات:**

بعد أن ذكر الله ـ عز وجل ـ حال من ينكر القيامة والبعث المعرض عن آيات الله تعالى الكونية والتنزيلية. أتبعه بذكر حال من يثابر على تعلم كتاب الله تعالى وتلقيها وحفظها. ليتبين الفرق بين الفريقين فقال تعالى مخاطباً رسوله محمد ﷺ لا تعجل بقراءة القرآن بسرعة مخافة أن يتفلت منك فإن علينا أن نجمعه لك ونثبته في صدرك فتحفظه ونيسر لك قراءته فإذا قرئ وتلي عليك فاعمل بما فيه من شرائع وأحكام ووصايا.

واقرأه كما أقرأك الملك ثم إن علينا بعد حفظك وتلاوتك نبينه لك ونلهمك معناه.

■ **شرح الألفاظ:**

﴿تُحَرِّكْ﴾ الحركة ضد السكون ولا تكون إلا للجسم وهو انتقال الجسم من مكان إلى مكان[1]. المراد : لا تسرع في تلقيه وأخذه.

﴿لِتَعْجَلَ﴾ من العجلة وهي طلب الشيء وتحريه قبل أوانه.وهو من مقتضى الشهوة. فلذلك صارت مذمومة في عامة القرآن إلا في قوله تعالى:﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾[2] وقوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [3] فهي عجلة محمودة لأن الذي دعا إليها أمر محمود[4]. وهو طلب رضا الله تعالى كما في الآية الأولى وحب القرآن الكريم كما في الآية الثانية آية سورة القيامة.

---

(1) مفردات ألفاظ القرآن/ للراغب الأصفهاني/٢٢٩.
(2) سورة طه، رقمها ٢٠: الآية٨٤.
(3) سورة القيامة، رقمها ٧٥: الآية١٦.
(4) مفردات ألفاظ القرآن/ للراغب الأصفهاني/٥٤٨/بتصرف.

والمراد به هنا: سرعة تلقفه من جبريل عليه السلام قبل الفراغ من إلقائه إليه ﷺ .

﴿جَمْعَهُ﴾ الجمع: ضم الشيء بتقريب بعضه من بعض يقال جمعته فاجتمع[1]. والمراد به هنا: التثبيت والحفظ.

﴿وَقُرْآنَهُ﴾ مصدر قرأ يقرأ قرآنا وقراءة. والقراءة: ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل[2].

﴿ ثُمَّ﴾ حرف عطف يقتضي تأخر ما بعده عما قبله إما تأخيراً بالذات أو بالمرتبة أو بالوضع. [3]

﴿بَيَانَهُ﴾ يقال:بان واستبان وتبين وقد بينته. والبيان: الكشف عن الشيء وهو أعم من النطق لأن النطق مختص بالإنسان ويُسمى ما بُين به بياناً. وسمي الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره.

وسمي ما يشرح به المجمل والمبهم من الكلام بياناً. ويقال: بينته وأبنته إذا جعلت له بياناً تكشفه [4].

(1) المرجع السابق/٢٠١.
(2) المرجع السابق ٦٦٨.
(3) المرجع السابق/١٧٦.
(4) المرجع السابق / ١٥٧ ، ١٥٨.

مناسبة الآيات لما قبلها

لما كانت هذه الآيات واقعة حسب ترتيبها في آية سورة القيامة بين وعيد الكفار المنكرين للقيامة وبين ردع الكفار عن حب العاجلة وترك العمل للآخرة زعم قوم من الضالين أن القرآن قد بدل وغير وزيد فيه ونقص منه محتجين بأنه لا مناسبة بين هذه الآية وبين ما قبلها. ولو كان هذا الترتيب من الله تعالى لما كان الأمر كذلك[1].

وهذا ما دفع الإمام الرازي إلى بيان وجوهاً متعددة لمناسبة هذه الآيات لما قبلها أذكر منها مايلي:

١- يحتمل أن يكون الاستعجال المنهي عنه إنما اتفق للرسول عليه السلام عند إنزال هذه الآيات. فلا جرم نهى عن ذلك الاستعجال في هذا الوقت. وقيل له: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [2].

٢- أنه تعالى نقل عن الكفار أنهم يحبون السعادة العاجلة وذلك هو قوله تعالى: ﴿ بَلْ يُرِيدُ الإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ﴾ ثم بين أن التعجيل مذموم مطلقاً حتى التعجيل في أمور الدين، فقال:﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴾ وقال في آخر الآية: ﴿كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ [3].

٣- ما ذكره القفال وهو أن قوله: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ﴾ ليس خطاباً مع الرسول عليه السلام بل هو خطاب مع الإنسان المذكور في قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾. فكان ذلك الإنسان حال ما ينبأ بقبائح أفعاله وذلك بأن يعرض عليه كتابه فيقال له: ﴿اقْرَأْ كَتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾[4] فإذا أخذ في القراءة تلجلج

(١) التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٢٢٢/٣٠.
(٢) المرجع السابق.
(٣) المرجع السابق/٢٢٣/٣٠.
(٤) سورة الإسراء ، رقمها ١٧: الآية ١٤.

لسانه من شدة الخوف وسرعة القراءة فيقال له: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾. فإنه يجب علينا بحكم الوعد أو بحكم الحكمة أن نجمع أعمالك عليك وأن نقرأها عليك.

فإذا قرأناه عليك فاتبع قرآنه بالإقرار بأنك فعلت تلك الأفعال. ثم إن علينا بيان أمره وشرح مراتب عقوبته.

وحاصل الأمر من تفسير هذه الآية أن المراد منه أنه تعالى يقرأ على الكافر جميع أعماله على سبيل التفصيل. وفيه اشد الوعيد في الدنيا وأشد التهويل في الآخرة.

ثم قال القفال: فهذا وجه حسن ليس في العقل ما يدفعه وإن كانت الآثار غير واردة فيه[1].

■ سبب النزول:

١- روى الإمام البخاري بسنده عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرك به لسانه- ووصف سفيان يريد أن يحفظه- فأنزل الله ﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾[2].

٢- وروى أيضاً بسنده عن موسى بن أبي عائشة:أنه سأل سعيد بن جبير عن قوله تعالى:﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ قال: وقال ابن عباس: كان يحرك شفتيه إذا أنزل عليه. فقيل له:﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ يخشى أن ينفلت منه﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ﴾ أن نجمعه في صدرك ﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أن تقرأه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ﴾- يقول أنزل عليه ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ.إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ. فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا

(١) التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٢٢٣/٣٠ ، ٢٢٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب التفسير/ سورة القيامة/ باب "لا تحرك به لسانك لتعجل به"/ رقم٤٩٢٧/صـ٦٢٨. وأخرجه مسلم في صحيحه/كتاب الصلاة/ باب الاستماع للقراءة/ رقم٤٤٨/صـ٣٧١. فتح الباري ٣٢٨/١٨.

بَيَانَهُ﴾ أن نبينه على لسانك. [1].

٣ – وروى أيضاً بسنده عن ابن عباس في قوله:﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ.﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه، وكان يعرف منه، فأنزل الله الآية التي في﴿لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾،﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ. إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال علينا أن نجمعه في صدرك وقرآنه ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ فإذا أنزلناه فاستمع. ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ علينا أن نبينه بلسانك. قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله. [2]

التفسير التحليلي للآيات

قوله تعالى:﴿ لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ نهي عن التسرع. والخطاب للرسول ﷺ والضمير للقرآن لدلالة سياق الآية مثل قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[3] ، والمعنى: لا تحرك يا محمد لسانك بالقرآن قبل فراغ جبريل من إلقائه إليك لتأخذه على عجلة مخافة أن ينفلت منك. وقيل: لمزيد حبك له وحرصك على أداء الرسالة.

وعلى ما ذكر القفال في وجه المناسبة. يكون الخطاب للإنسان المذكور في قوله:﴿ يُنَبَّأُ الإِنسَانُ﴾ والكلام متصل بالآيات قبلها.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب التفسير/ سورة القيامة/ باب "إن علينا جمعه وقرآنه"/ رقم٤٩٢٨/صـ٦٢٨.
- وأخرجه مسلم في صحيحه/كتاب الصلاة/ باب الاستماع للقراءة/ رقم٤٤٨/صـ٣٧١.
- فتح الباري ٣٢٩/١٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب التفسير/ سورة القيامة/ باب "فإذا قرأناه فاتبع قرآنه"/ رقم٤٩٢٩/صـ٦٢٨.
- وأخرجه مسلم في صحيحه/كتاب الصلاة/ باب الاستماع للقراءة/ رقم٤٤٨/صـ٣٧١.
- فتح الباري ٣٢٩/١٨- ٣٣١.

(٣) سورة القدر، رقمها ٩٧: الآية ١.

وتعود الضمائر في الآيات إلى عمل الإنسان الجاحد الذي يفجر أمامه وإذا خوفه مخوف بيوم القيامة أجابه مستهزئاً ساخراً:﴿ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ .

لكن جمهور المفسرين على أن الخطاب للرسول ﷺ متمسكين بالأحاديث الصحيحة الصريحة الواردة في سبب النزول المذكورة سابقاً.

والنهي عن تحريك لسانه ﷺ نهي رحمة وشفقة لما كان يلاقيه في ذلك من الشدة. [1] ولأن الدافع له "صلى الله عليه وسلم" إلى سرعة تلقف القرآن هو دافع محمود وهو حب القرآن الكريم وحرصه على حفظه.

وهذا كما قال تعالى في سورة طه : ﴿ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[2] .

يقول ابن كثير: [هذا تعليم من الله ـ عز وجل ـ لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك فإنه كان يبادر إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته. فأمره الله ـ عز وجل ـ إذا جاء الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي القاه إليه ويبينه له ويفسره ويوضحه.

- فالحالة الأولى: جمعه في صدره.
- و الثانية: تلاوته.
- و الثالثة: تفسيره وإيضاح معناه] [3].

وقوله: ﴿لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ أي لأجل أن تعجل بأخذه وتلقفه من الملك جبريل عليه السلام.

وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ تعليل للنهي عن التحريك.

[وكلمة على للوجوب فقوله:إن علينا يدل على أن ذلك كالواجب على الله

(1) انظر تفسير التحرير والتنوير/ لابن عاشور/ ٣٥٠/٢٩.
(2) سورة طه، رقمها ٢٠: الآية ١١٤.
(3) تفسير القرآن العظيم/٤٧٩/٤.

تعالى. والمراد بالوجوب على رأي أهل السنة الوعد] [١].

[وكلمة علينا للتكفل والتعهد] [٢].

﴿جَمْعَهُ﴾ تثبيته في صدرك وحفظك.

﴿وَقُرْآنَهُ﴾ أي إثبات قراءته في لسانك بحيث تقرأه متى شئت.

فالقرآن هنا وكنا فيما بعد مصدر كالرجحان بمعنى القراءة. [٣]

وقيل: قرآنه:أي تأليفه. والمعنى إن علينا جمعه أي حفظه في حياتك وتأليفه على لسانك. [٤]

قوله تعالى:﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ بيان لكيفية تلقي القرآن الكريم والضمير في ﴿قَرَأْنَاهُ﴾ لجبريل عليه السلام.

والمعنى: إذا أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل عليه السلام المبلغ عنا وجعل الله ـ عز وجل ـ قراءة جبريل قراءته عز و جل للدلالة على شرف جبريل العظيم فإنه أمين الوحي: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ. عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾. [٥]

﴿ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ أي فاتبع قراءته فلا ينبغي أن تكون قراءتك مقارنة لقراءة جبريل لكن يجب أن تسكت حتى يتم جبريل عليه السلام القراءة. فإذا سكت جبريل عليه السلام فخذ أنت في القراءة.

وهذا الوجه أولى من القول القائل أن المراد بقوله:﴿ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ اتبع حلاله وحرامه. [٦] ولذلك كان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل عليهما السلام استمع وإذا انطلق جبريل عليه السلام قرأه النبيﷺ كما أقرأه.

---

(١) التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٢٢٤/٣٠.
(٢) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٥٠/٢٩.
(٣) انظر روح المعاني /للآلوسي/١٤٢/٢٩.
(٤) المرجع السابق.
(٥) سورة الشعراء، رقمها ٢٦: الآيتان ١٩٣ ، ١٩٤.
(٦) انظر التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٢٢٥/٣٠.

فقد جاء في البخاري عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: "فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله"[1].

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ بيان للوعد الثالث الذي وعد الله به رسوله ﷺ ولذلك جيء بكلمة ﴿ثُمَّ﴾ لبيان التراخي في الرتبة.

أي التفاوت بين رتبة الجملة المعطوف عليها وهي قوله:﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ وبين رتبة الجملة المعطوفة وهي﴿إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ .

ومعنى الجملتين: أن علينا جمع الوحي وأن تقرأه وفوق ذلك أن تبينه للناس بلسانك[2].

والمراد بالبيان:بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه.

وقيل: المراد نبينه بلسانك فتقرأه كما أقرأك جبريل عليه السلام.

وقيل: إن علينا أن نجزي به يوم القيامة بما فيه من وعد ووعيد.

وقيل: علينا أن تنزله قرآناً عربياً فيه بيان للناس. [3]

ولا مانع في نظري من إرادة ذلك كله حيث إن البيان يشمل ذلك كله، وجاء لفظ البيان مطلق غير مخصص بإضافة أو وصف.

الحكم الفقهي المستنبط من الآيات الكريمة

قوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ.إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ تعليم من الله ـ عز وجل ـ لرسوله ﷺ في كيفية تلقيه الوحي من الملك فإنه ﷺ كان يسارع إلى أخذه ويسابق الملك في قراءته ويتلقفه منه على عجل وسرعة. لحبه وشغفه بالقرآن. وخوفاً من أن يتفلت منه فينساه. فأمره الله ـ عز وجل ـ إذا جاءه الملك بالوحي أن يستمع له وتكفل الله له أن يجمعه في

(1) أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب التفسير/ سورة القيامة/٢ـ باب قوله:"فإذا قرأناه فاتبع قرآنه"/رقم٤٩٢٩/صـ٦٢٨.
ـ انظر فتح الباري / كتاب التفسير/ باب "فإذا قرأناه فاتبع قرآنه"١٨/٣٣١.
(2) انظر تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٢٩/٣٥٠.
(3) انظر زاد المسير/ لابن الجوزي/٨/٤٢٢.

صدره وأن ييسره لأدائه على الوجه الذي القاه إليه. وأن يبينه له ويفسره ويوضحه:﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ. ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾.

وهذا التعليم جاء بأسلوب النهي: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ ، وقد بين الله عز و جل مدى هذا النهي ومدة هذه العجلة في قوله تعالى:﴿ وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(١).

والآيتان يتضمنان الأحكام التالية:

١- النهي عن السرعة في قراءة القرآن.

٢- الأمر بحسن الاستماع والانصات وقت السماع.

٣- تلقي القراءة من مصدر الوحي.

ولذلك نجد الرسول ﷺ يلتزم بما أمره به ربه ـ عز وجل ـ ، فقد جاء في حديث أسباب النزول: " فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأ".(٢)

وهو تطبيق لما أمره الله تعالى في آية سورة المزمل بقوله تعالى: ﴿وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾(٣).

[أي اقرأه على تمهل فإنه يكون عوناً على فهم القرآن وتدبره. وبينه تبييناً والتبيين لا يتم إلا بإظهار جميع الحروف وتوفيتها حقها من الإشباع.

وكذلك كانﷺ يقرأ القرآن. قالت حفصة "رضي الله عنها": "كان يقرأ السورة فيرتلها. حتى تكون أطول من أطْوَل منها". (٤)

---

(١) سورة طه، رقمها ٢٠: الآية ١١٤.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب التفسير/ سورة القيامة/باب قوله:"فإذا قرأناه فاتبع قرآنه" رقم٤٩٢٩/صـ٦٢٨.

(٣) سورة المزمل ، رقمها ٧٣/ الآية ٤.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه/كتاب صلاة المسافرين وقصرها/ ١٦- باب جواز النافلة قائماً وقاعداً، وفعل بعض الركعة قائماً وبعضها قاعداً/١/رقم١١٨/صـ٥٠٧/ حقق نصوصه وترقيه: محمد فؤاد عبد الباقي / الكتب الستة/ اسطنبول ١٩٨١م.

- والنسائي في سننه/ كتاب قيام الليل وتطوع النهار/ ١٩- باب صلاة القاعد في النافلة وذكر الاختلاف على أبي اسحاق في ذلك/ جزء ٣/رقم١٦٥٦/صـ٢٢٣/ الكتب الستة وشروحها/ط٢.

وفي صحيح البخاري –عن قتادة– قال: سئل أنس كيف كانت قراءة النبي ﷺ فقال: كانت مداً ثم قرأ (بسم الله الرحمن الرحيم) يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم. (١)

وكان ﷺ يقطع قراءته ويقف عند كل آية فيقول:"الحمد لله رب العالمين" ، ثم يقف. " الرحمن الرحيم"، ثم يقف(٢).

روى أحمد وأبو داود والترمذي عن ابن جريج عن عبدالله بن أبي مليكة عن أم سلمة رضي الله عنها أنها سئلت عن قراءة رسول الله ﷺ فقالت: كان يقطع قراءته آية آية:(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ.﴿الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ . مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ (٣))(٤).

[وذكر الزهري أن قراءة رسول الله ﷺ كانت آية آية.

وهذا هو الأفضل الوقوف على رؤوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها.

وذهب بعض القراء إلى تتبع الأغراض والمقاصد والوقوف عند انتهائها.

واتباع هدي النبي ﷺ وسنته أولى.

وممن ذكر ذلك البيهقي في "شعب الإيمان" وغيره.ورجح الوقوف على رؤوس الآي وإن تعلقت بما بعدها] (٥).

- ومالك بن أنس في الموطأ/ كتاب صلاة الجماعة/ ٧ – باب ما جاء في صلاة القاعد في النافلة /١/ رقم٢١/صـ١٣٧/الكتب الستة/ اسطنبول ١٩٨١.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب فضائل القرآن/ ٢٩- باب مد القراءة / رقم٥٠٤٦/صـ٦٤٤.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه/ كتاب القراءات/ باب ١- في فاتحة الكتاب/ جزء ٥ رقم ٢٩٢٧ صـ١٨٥ عن أم سلمة/ وقال : هذا حديث غريب وبه يقول أبوعبيد ويختاره/ موسوعة السنة/الكتب الستة ط ٢، اسطنبول ١٩٩٢م.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده/جزء ٤٤/رقم٢٦٥٨٣/صـ٢٠٦.
- صحيح لغيره، وهذا سند رجاله ثقات رجال الشيخين.
- وأخرجه أبو داود في سننه/ كتاب الحروف والقراءات/جزء ٢/رقم٤٠٠١/ص٧٥٥-٧٥٦(صحيح).

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم/ لابن كثير/٤٦٣/٤.

(٥) زاد المعاد في هدي خير العباد/لابن القيم/٣٣٧/١.

وقد أمر الله تعالى بحسن الاستماع والانصات عند تلاوة القرآن، وذلك في قوله تعالى:﴿ وَإِذَا قُرِىءَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُواْ لَهُ وَأَنصِتُواْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [1].

قال النقاش: أجمع أهل التفسير أن هذا الاستماع في الصلاة المكتوبة وغير المكتوبة.[2].

والإنصات السكوت للاستماع والإصغاء والمراعاة. [3]

ومن مجموع هذه الآيات والأحاديث نستفيد أن جميعها متفرعة من آيات سورة القيامة: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ .

وأنها تفيدنا أن القراءة سنة متبعة لا ينبغي لأحد أن يجاوز الحدود التي بينها رسول اللهﷺ.

يقول ابن العربي في أثناء بيانه لقوله تعالى: ﴿لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ.إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾ قال جمعه لك في صدرك وتقرؤه.

﴿ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ﴾ قال: فاستمع له وأنصت.

﴿ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ ثم إن علينا أن تقرأه.

فكان رسول الله ﷺ بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع، فإذا انطلق جبريل قرأه النبيﷺ كما أقرأه.

يعلق على ذلك بقوله: [وهذا المعنى صحيح، وذلك أن المتلقَّن من حكمه الأوكد أن يُصغى إلى الملقّن بقلبه، ولا يستعين بلسانه، فيشترك الفهم بين القلب واللسان، فيذهب روح التحصيل بينهما، ويخزل اللسان بتجرد القلب للفهم، فيتيسر التحصيل. وتحريك اللسان يجرد القلب عن الفهم، فيتعسر التحصيل بعادة الله التي يسرها. وذلك معلوم عادة فيتحقق لذى مشاهدة] [4]

(1) سورة الأعراف، رقمها ٧: الآية٢٠٤.
(2) الجامع لأحكام القرآن/ للقرطبي/٧/٣٥٤.
(3) المرجع السابق.
(4) أحكام القرآن /لأبي بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي/٤/١٨٩٤.

.

رابعاً: بيان الزجر عن إيثار الحياة الدنيا العاجلة على الحياة الآخرة الباقية وبيان حال المؤمنين وحال الكافرين يوم القيامة.

يقول تعالى:﴿ كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ. وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ.إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ. وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ. تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ الآيات ٢٠ – ٢٥.

■ **المعنى الإجمالي:**

بعد أن ذكر الله ـ عز وجل ـ حال من يرغب في القرآن فيتلوه ويتعلمه، أتبع ذلك ببيان حال من يرغب عن القرآن وسبب ذلك.

﴿ كَلا﴾ ردع وزجر للمشركين عن اقوالهم في عدم القيامة والبعث، وإن حب الدنيا العاجلة وإيثار شهواتها على نعيم الآخرة هو الذي جعلكم تكذبون بيوم القيامة ثم بين تعالى ما يكون من أحوال المؤمنين في الآخرة فوجوههم فيها مضيئة مشرقة تشاهد عليها نضرة النعيم.

تنظر وترى ربها يوم القيامة عياناً بلا حجاب وينظرونه كما ينظرون إلى القمر ليلة البدر ثواباً ورضى من الله عز و جل.

ثم أتبع هذا الوعد والبشارة للمؤمنين.

بالوعيد والنذارة للكافرين الجاحدين.

بأن وجوههم يوم القيامة عابسة كالحة مستيقنة أنها ستصاب بداهية عظيمة تقصم فقار ظهرها وتهلكها.

■ **شرح الألفاظ:**

﴿ الْعَاجِلَةَ﴾ دار الدنيا. [1]

([1]) تفسير المراغي/١٥٠/٢٩/طبعة الحلبي.

﴿وَتَذَرُونَ﴾ مضارع ذرته الريح تذروه وتذريه. [١] والمراد تتركون.

﴿الآخِرَةَ﴾ الدار الآخرة. [٢]

﴿نَّاضِرَةٌ﴾ النضرة: الحسن من نَضَر وجهه ينضر فهو ناضر. [٣]

﴿بَاسِرَةٌ﴾ من البسر وهو الاستعجال بالشيء قبل أوانه. أي عابسة كالحة. [٤]

﴿تَظُنُّ﴾ الظن اسم لما يحصل عن أمارة ومتى قويت أدت إلى العلم.ومتى ضعفت جداً لم تتجاوز حد التوهم. [٥]

﴿فَاقِرَةٌ﴾ يقال: فقرته فاقرة أي داهية تكسر الفقار. وأصل الفقير هو المكسور الفقار. [٦]

مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن ذكر الله ـ عز و جل ـ حال من يرغب في القرآن وما ينبغي أن يكون عليه عند تلقيه والاستماع إليه.

أتبع ذلك ببيان ما طبع عليه الإنسان عامة من حب الدنيا العاجلة ولذائذها وتفضيلها على الآخرة الباقية. وحال أهل الإيمان وحال أهل الكفر يوم القيامة. فقال:﴿ كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. ....﴾ إلخ الآيات.

ويقول البقاعي: [ولما كان سبحانه وتعالى قد ختم الكلام في المكذبين بأن أعمالهم محفوظة وأن كل أحد شاهد على نفسه، لأن يعلم جميل ما يفعل

(١) مفردات ألفاظ القرآن/ للراغب الأصفهاني/٣٢٧.
(٢) تفسير المراغي/١٥٢/٢٩.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن/ للراغب الأصفهاني/٨١٠.
(٤) المرجع السابق/١٢٢.
(٥) مفردات ألفاظ القرآن/ للراغب الأصفهاني/٥٣٩.
(٦) المرجع السابق /٦٤٢.

من قبيحه وإن اعتذر ولولاه ما اشتد اتصاله به وختم بضمان البيان للقرآن فكان شاهداً بيناً على كل إنسان بما له من عظيم البيان.

قال نافياً لما يظن من جهلهم بقبيح أفعالهم الذي اقتضاه اعتذارهم مشعراً بأن الآدمي مطبوع على الاستعجال بعد النهي عن العجلة في أعز الأشياء وأعلاها وأهمها وأولاها لأنه أصل الدين ليكون ذلك مؤكداً للنهي عن العجلة بالقرآن ومؤكداً لذمهم بحب العاجلة مغلظاً لتوبيخهم على الميل مع الطبع وترك ما يقتضيه العلم والعقل](١).

التفسير التحليلي للآيات

﴿كَلا﴾ ردع وإبطال لما سبق من قوله تعالى:﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ إلى قوله:﴿ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ .

فأعيد﴿ كَلا﴾ تأكيداً لنظيره ووصلاً للكلام بإعادة آخر كلمة منه.(٢)

والمعنى:ارتدعوا أيها البشر عما أنتم عليه من العجلة في شئونكم وحب التسرع في الوصول إلى أغراضكم. وقيل:كلا بمعنى حقاً أي حقاً(تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ).

وفي هذا إرشاد لرسوله ﷺ وأخذ به من عادة العجلة، وترغيب له عليه الصلاة والسلام في الأناة. وبالغ سبحانه في ذلك.

لمزيد حبه إياه باتباعه قوله تعالى:﴿ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ. وَتَذَرُونَ الآخِرَةَ﴾ (٣).

وقوله:﴿ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ إضراب إبطالي يفصل ما أجمله الردع بقوله: ﴿كَلا﴾ من إبطال ما قبلها وتكذيبه أي لا معاذير لهم في نفس الأمر ولكنهم أحبوا العاجلة.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/للبقاعي/٢١/ ١٠٢ ، ١٠٣.
(٢) انظر تفسير التحرير والتنوير /لابن عاشور/٣٥١/٢٩.
(٣) انظر روح المعاني /للآلوسي/١٤٢/٢٩.

أو هو إبطال لما تضمنه قوله: ﴿وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ﴾ فيكون استئناف ابتدائي. والمعنى:أن معاذيرهم باطلة ولكنهم يحبون العاجلة ويذرون الآخرة[1].وهذا ما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزل الله ـ عز وجل ـ على رسوله ﷺ من الوحي الحق والقرآن العظيم إنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة.

ولذلك قال:﴿ تُحِبُّونَ﴾ تعميماً للخطاب لكل بني آدم.

قوله:﴿ تُحِبُّونَ﴾ ﴿ وَتَذَرُونَ﴾ قراءة الجمهور بتاء فوقية على الالتفات من الغيبة إلى الخطاب في موعظة المشركين مواجهة بالتفريع لأن ذلك أبلغ فيه. وقرأ ابن كثير وابن عامر وابو عمرو ويعقوب بياء تحتية على نسق ضمائر الغيبة السابقة والضمير عائد إلى "الإنسان"في قوله:﴿ بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ ، وجاء الضمير جمعاً لأن الإنسان مراد به جميع الناس المشركون.[2]

يقول الفخر الرازي: قرئ:﴿ تُحِبُّونَ﴾ ﴿ وَتَذَرُونَ﴾ بالتاء والياء ، وفيه وجهان:

الأول: قال الفراء: القرآن إذا نزل تعريفاً لحال قوم فتارة ينزل على سبيل المخاطبة لهم وتارة ينزل على سبيل المغايبة كقوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم﴾.[3]

الثاني: قال أبوعلي الفارسي: [الياء على ما تقدم من ذكر الإنسان في قوله:﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ﴾ والمراد منه الكثرة كقوله: ﴿إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾[4] والمعنى أنهم يحبون ويذرون على

(1) انظر تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٥١/٢٩.
(2) بتصرف من تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٥١/٢٩.
(3) سورة يونس، رقمها ١٠: الآية ٢٢.
(4) سورة المعارج، رقمها ٧٠: الآية ١٩.

قراءة التاء يكون المعنى قل لهم: بل تحبون وتذرون] [١]. والفعلان تحبون وتذرون مضارعان يفيدان التجدد والاستمرار على حسب تجدد الزمان.أي يحبون الدنيا العاجلة محبة متجددة مستمرة بدليل أنهم يقبلون عليها غاية الإقبال وحبهم لها هو الذي أوقعهم في قبح الأعمال.

ويتركون العمل للدار الآخرة لبغضهم لها بسبب ارتكابهم ما يضر بهم فيها. [٢] ولما ذكر الآخرة التي أعرضوا عنها. ذكر ما يكون فيها بياناً لجهلهم وسفههم وقلة عقلهم وترهيباً لمن أدبر عنها وترغيباً لمن أقبل عليها لطفاً بهم ورحمة لهم. [٣]

فقال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾ بيان لحال الناس يوم القيامة أهل السعادة وأهل الشقاوة. ووجوه مبتدأ مع أنه نكرة لأن الموضع موضع تفصيل. ومن المعروف أن المراد بالوجوه الناضرة المؤمنين المخلصين.

وتنكير وجوه للتنويع والتقسيم كما في قوله تعالى:﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.[٤]

والمراد بقوله:﴿ يَوْمَئِذٍ﴾ يوم القيامة الذي تكرر ذكره بمثل هذا ابتداء من قوله: ﴿ يَقُولُ الإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ﴾ [٥].

﴿نَّاضِرَةٌ﴾ من النضارة أي حسنة بهية مشرقة مسرورة نضرت بنعيم الجنة .يقول تعالى:﴿ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ﴾ [٦].

قوله تعالى: ﴿إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ خبر ثان للمبتدأ أو نعت لناضرة و﴿إِلَى

(١) التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٢٢٦/٣٠.
(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/للبقاعي/١٠٣/٢١ ، ١٠٤.
(٣) المرجع السابق.
(٤) سورة الشورى، رقمها ٤٢: الآية ٧.
(٥) سورة القيامة، رقمها ٧٥: الآية ١٠.
(٦) سورة المطففين، رقمها ٨٣: الآية ٢٤.

رَبِّهَا﴾ متعلق بناظره. وقدم إلى ربها للاهتمام بهذا العطاء العجيب وليس للاختصاص لأنهم يرون بهجات كثيرة في الجنة.

[ومعنى كونها ناظرة إلى ربها أنها تراه تعالى مستقرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى على ما يليق بذاته سبحانه ولا حجر على الله ـ عز وجل ـ وله جل وعلا التنزه الذاتي التام في جميع تجلياته].[1]

وجمهور أهل السنة يتمسكون بهذه الآية في إثبات أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة خلافاً للمعتزلة.[2]

فالمؤمنون المخلصون الصادقون يتفضل الله عليهم برؤيته ومشاهدته سبحانه في الآخرة فيرونه عياناً وقد أكدت الأحاديث الصحيحة ذلك.

ففي البخاري: (إنكم سترون ربكم عياناً)[3].

يقول ابن كثير: [وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله ـ عز وجل ـ في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح من طرق متواترة عند أئمة الحديث لا يمكن دفعها ولا منعها.

لحديث أبي سعيد وأبي هريرة وهما في الصحيحين: أن ناساً قالوا: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟

فقال: "هل تضارون في القمر ليلة البدر؟ قالوا: لا يارسول الله، قال:"فهل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب، قالوا: لا يا رسول الله، قال فإنكم ترونه كذلك"[4]] [5].

ثم أتبع ابن كثير ذلك بذكر أكثر من خمسة أحاديث ورد على المعتزلة المتأولين للآية الكريمة.

---

(1) روح المعاني/للآوسي/١٤٤/٢٩ ، ١٤٥.
(2) التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٢٢٦/٣٠.
(3) أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب التوحيد/ رقم٧٤٣٤/صـ٩٠٦.
(4) أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب التوحيد/رقم٧٤٣٧/صـ٩٠٦.
(5) انظر تفسير القرآن العظيم/ لابن كثير/٤٨٠/٤.

وقوله: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ﴾ معطوف على﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ﴾.

وهو بيان لحال الكفار المكذبين وإنذار وترهيب لهم.

فالوجوه الباسرة وجوه أهل الشقاء والتكذيب.

ومعنى باسرة. كالحة من تيقن العذاب فهي عابسة مظلمة لما أدركها من الشقاء واليأس من رحمة الله تعالى في يوم القيامة.

وأعيد لفظ ﴿يَوْمَئِذٍ﴾ تأكيداً للإهتمام بالتذكير بذلك اليوم. (١)

وقوله: ﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ﴾ استئناف بياني لبيان سبب بسورها.(٢)

و﴿تَظُنُّ﴾ أي تستيقن، أو تتوقع بما ترى من المخايل.(٣)

وجئ بفعل الظن هنا دلالة على أن ما هم فيه وإن كان غاية الشر يتوقع بعده أشد منه وهكذا أبدا وذلك لأن المراد بالفاقرة مالا يكتنه من العذاب.(٤)

والأكثر من المفسرين على أن المراد بالظن هنا اليقين. وكانت بهذه الصفة لتيقنها بأن العذاب نازل.

ويقول الفخر الرازي: [وعندي أن الظن إنما ذكر ههنا على سبيل التهكم كأنه قيل:إذا شاهدوا تلك الأحوال حصل فيهم ظن أن القيامة حق]. (٥)

والفاقرة: الداهية العظيمة فهي داهية تكسر العظم وأصلها من الفقرة والفقارة كأن الفاقرة داهية تكسر فقار الظهر. (٦)

وإفراد ﴿ فَاقِرَةٌ﴾ إفراد الجنس أي نوعاً عظيماً من الداهية. (٧)

يقول البقاعي: [﴿فَاقِرَةٌ﴾ أي داهية تكسر الفقار وهو عظم سلسلة الظهر الذي هو أصلب ما في العظام فتكون قاصمة الظهر.

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٥٦/٢٩.
(٢) المرجع السابق/٣٥٦/٢٩.
(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/للبقاعي/١٠٧/٢١.
(٤) روح المعاني/ للآلوسي/١٤٦/٢٩.
(٥) التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٢٣٠/٣٠.
(٦) المرجع السابق.
(٧) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٥٦/٢٩.

فالآية من الاحتباك: ذكر النظر في الأولى دليل على ضده في الثانية. وذكر الفاقرة في الثانية دليل على ضدها في الأولى]. [1]

وهذه الآيات الكريمة التي أبانت عن حال المؤمنين وحال الكفار يوم القيامة يماثلها قوله تعالى:﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ.ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ.وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ. تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ. أُوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴾.[2]

خامساً: بيان حال الإنسان عامة عند الموت، وحال الكافر خاصة:

يقول تعالى: ﴿كَلا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ. وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ. وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ. وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ. إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ. فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى. وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى. ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى. أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى. ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ الآيات ٢٦-٣٥.

■ المعنى الإجمالي:

بعد أن بين الله تعالى حال المؤمنين وحال الكافرين يوم القيامة أتبع ذلك بتذكير الإنسان عامة والكافر خاصة بحالة الاحتضار عند الموت وما يكتنفها من أهوال.

والمعنى: لست يا ابن آدم هناك تكذب بما أخبرت به بل صار ذلك عندك عياناً.

أو حقاً إذا انتزعت روحك من جسدك وبلغت إلى الترقوة وهي العظمة التي بين ثغرة النحر والعاتق. وهي قريبة من الحلقوم.

وعندئذ يقول أهله: مَن راق. أي من طبيب شاف يداويه. أو تقول الملائكة: مَن يرقى ويصعد بروحه هل ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب.

وظن أي أيقن المحتضر أن مانزل به الفراق من حبيبته الدنيا ونعيمها أو هذا فراق الروح للجسد.

---

(1) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/١٠٧/٢١.
(2) سورة عبس، رقمها ٨٠: الآيات٣٨-٤٢.

والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند هلع الموت وانتهاء أمره أو التفافهما في الكفن.

أو التفت عليه الدنيا والآخرة.

إلى الله تعالى وحكمه وحده لا إلى غيره سوقه ومرجعه وكان ما كان وانكشف للمرء حقيقة الأمر.

وواجه الإنسان عمله من خير وشر.

فقد فارق الحياة وسيق إلى لقاء الله تعالى خالياً من العُدة لذلك اللقاء.

فلا آمن بالقرآن ولا بما جاء به الرسول ﷺ. ولا قام بالصلاة التي فرضها الله تعالى عليه.

ولكن كان أمره أنه كذب وتولى كذب بالبعث والقرآن وبرسالة رسول الله محمد ـ عليه الصلاة والسلام ـ .

وأعرض عن دعوة الإسلام والنظر والتدبر في القرآن وعن الاهتداء عامة بالإسلام.

فهو قد أهمل الاستعداد للآخرة ولم يهتم بدعوة الرسول ﷺ وكان يذهب إلى أهله يتبختر مزدهياً بنفسه غير مفكر في مصيره فيقال له: هلاكاً لك:أهلكك الله تعالى هلاكاً أقرب لك من كل شر وهلاك.

وتكررعليه الدعاء للتأكيد ﴿ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ أي هلاكاً لك ثم هلاكاً وهلاكاً بليغاً أكيداً.

■ شرح الألفاظ :

﴿التَّرَاقِيَ﴾ جمع تَرْقُوَة وهي مقدم الحلق في أعلى الصدر حيث ما يترَقَّى فيه النَّفَس[1] وهو المراد هنا.

(1) مفردات ألفاظ القرآن / للراغب الأصفهاني/٣٦٣.

﴿ رَاقٍ﴾ اسم فاعل من رقيت أرقى رقياً وهو الصعود. أو من رقيتُ أرقيه ويرقيه أي يحميه. [١] ويشفيه. وكلاهما يصح أن يكون المراد.

﴿الْفِرَاقُ﴾ من المفارقة تكون بالأبدان أكثر. ويكون ذلك في تشتيت الشمل والكلمة. والمراد هنا مفارقة الدنيا بالموت. [٢]

﴿وَالْتَفَّتِ﴾ من لَفَفْتُ الشيء لفاً أي ضممت بعضه إلى بعض. [٣] وهو المراد.

﴿السَّاقُ﴾ أي ساق الإنسان. وقيل المراد بهما التفاف الشدة بالشدة. وقيل: المراد الكناية عن وقوع أمر عظيم. [٤]

التفت عليه الدنيا والآخرة، التف آخر يوم من الدنيا بأول يوم من الآخرة، التفت الشدة بالشدة، التقى الأمر العظيم بالأمر العظيم، التقى البلاء بالبلاء، وقيل هما ساقا الإنسان إذا التقيا في الكفن وقيل غير ذلك.[٥]

﴿الْمَسَاقُ﴾ مصدر ميمي من ساق يسوق من سوق الإبل أي حلبها وطردها، يقال: سقْتُه[٦] فانساق والمراد به المنتهى والمرجع.

﴿وَتَوَلَّى﴾ أي أعرض فإن ولى إذا تعدى يقن لفظاً أو تقديراً اقتضى معنى الإعراض وترك قربه. والتولي قد يكون

(١) المرجع السابق.
(٢) المرجع السابق/٦٣٣.
(٣) المرجع السابق/٧٤٣.
(٤) المرجع السابق/٤٣٦.
(٥) تفسير القرآن العظيم/لابن كثير/٤٨١/٤.
(٦) مفردات ألفاظ القرآن/ للراغب الأصفهاني/٤٣٦.

بالجسم، وقد يكون بترك الإصغاء والائتمار.[١]

﴿ يَتَمَطَّى﴾ مضارع مطى أي يمد مطاه أي ظهره. [٢]

ويتمطى: يمشي المطيطاء،وهي التبختر، وأصل يتمطى:يتمطط أي يتمدد لأن المتبختر يمد خطاه وهي مشية المعجب بنفسه[٣]. وهو المراد.

﴿أَوْلَى﴾ كلمة تهديد وتخويف يخاطب بها من أشرف على هلاك فيبحث بها على التحرز، أو يخاطب بها من نجا ذليلاً منه فينهى عن مثله ثانياً. وأكثر ما يستعمل مكرراً. وكأنه حث على تأمل ما يؤول إليه أمره ليتنبه للتحرز منه.[٤]

مناسبة الآيات لما قبلها

لما بين ـ عز وجل ـ أن الإنسان بطبعه يؤثر الدنيا على الآخرة وأتبع ذلك ببيان سعادة السعداء وشقاوة الأشقياء في الآخرة. أتبع ذلك بالردع عن إيثار الدنيا على الآخرة منبهاً على ما يأتيهم من أهوال الموت الذي به تنقطع الدنيا العاجلة ويكون الانتقال إلى الآخرة فقال: ﴿ كَلا إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ ... ﴾ إلخ الآيات.

أو نقول: إنه لما بين سبحانه وتعالى تعظيم أحوال الآخرة بين أن الدنيا لابد فيها من الانتهاء والنفاد والوصول إلى تجرع مرارة الموت فقال: ﴿كَلا﴾ أي حقاً إذا بلغت الروح التراقي كان كذا وكذا.

---

(١) المرجع السابق/٨٨٦.
(٢) المرجع السابق/٧٧١.
(٣) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٦٢/٢٩.
(٤) مفردات ألفاظ القرآن / للراغب الأصفهاني/١٠٠.

ويقول البقاعي: [ولما ذكر محبتهم للعاجلة بالمضارع الدال على التجدد والاستمرار.

فاقتضى ذلك أنه حب غير منفك التجدد أصلاً.

أخبر أنه ينقطع عند هول المطلع مع الدلالة على تمام القدرة وأنه لا يرد قضاؤه.

فقال رادعاً لمن يظن عدم انقطاعه﴿كَلا﴾ أي لا يدوم هذا الحب بل لابد أن ينقطع انقطاعاً قبيحاً جداً] (١).

التفسير التحليلي للآيات

﴿كَلا﴾ ردع وزجر أي ازدجروا وتنبهوا إلى ما بين أيديكم من الموت. وتجرع آلامه وتحمل سكراته. وبه تنقطعون عن الدنيا وما فيها.

وقيل: ﴿كَلا﴾ أي حقاً إذا بلغت التراقي كان فناء الدنيا والوصول إلى تجرع مرارة الموت.

﴿إِذَا بَلَغَتْ التَّرَاقِيَ﴾ وصف لتلك الحالة التي تفارق الروح فيها الجسد. والجملة متعلقة بالكون الذي يقدر في الخبر وهو قوله: ﴿إِلَى رَبِّكَ﴾ والمعنى: المساق والمرجع يكون إلى ربك إذا بلغت التراقي. وفاعل بلغت الروح أي إذا بلغت الروح أعالي الصدر. وهي العظام المكتنفة ثغرة النحر عن يمين وشمال وأشرقت النفس على الموت.

وحذف الفاعل وهو الروح أو النفس، لأن سياق الكلام يدل عليه جرياً على عادة العرب في كلامهم فهي تحذف من الكلام ما يدل عليه.

ويقول البقاعي: [ولما كان المحب للدنيا هو النفس أضمرها لذلك ولدلالة الكلام عليها، فقال ذاكراً ظرف ما افهم حرف الردع تقديره من عدم المحبة ﴿إِذَا بَلَغَتْ﴾ أي النفس المقبلة على العاجلة بأمر محقق بما أفهمته أداة

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ للبيقاعي/٢١/١٠٧.

التحقق]. [١]

أو أنه أضمرها مع أنها لم يجر لها ذكر لعلم المخاطب بذلك كما في قوله تعالى:﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾[٢].والمراد ببلوغ التراقي القرب من الموت. [٣]

ومثال هذه الآية قوله تعالى:﴿ فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ.وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾[٤].

﴿ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي قال أهله الحاضرون من يرقيه ويشفيه وينجيه مما هو فيه.

وعن ابن عباس "رضي الله عنهما" قيل: من يرقى بروحه ملائكة الرحمة أم ملائكة العذاب فعلى هذا يكون من كلام الملائكة. [٥]

وقال ابن عباس أيضاً: إن الملائكة يكرهون القرب من الكافر. فيقول ملك الموت من يرقى بهذا الكافر.[٦]

وقال الكلبي: يحضر العبد عند الموت سبعة أملاك من ملائكة الرحمة وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فإذا بلغت نفس العبد التراقي نظر بعضهم إلى بعض أيهم يرقى بروحه إلى السماء فهو﴿مَنْ رَاقٍ﴾ [٧] ولا مانع من جواز الاحتمالين. لأن لفظ الآية يحتملهما.

[ثم هذا الاستفهام يحتمل أن يكون بمعنى الطلب كأنهم طلبوا له طبيباً يشفيه وراقياً يرقيه. ويحتمل أن يكون استفهاماً بمعنى الإنكار كما يقول القائل عند اليأس من الذي يقدر أن يرقي هذا الإنسان المشرف على الموت]

(١) المرجع السابق/ ١٠٧/٢١ ، ١٠٨.
(٢) سورة القدر، رقمها ٩٧:الآية ١.
(٣) انظر التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٢٣٠/٣٠.
(٤) سورة الواقعة، رقمها ٥٦:الآيتان ٨٣، ٨٤.
(٥) تفسير القرآن العظيم/لابن كثير/٤٨١/٤.
(٦) التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٢٣١/٣٠.
(٧) المرجع السابق.

.[1]

قوله: ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ﴾ أي وظن الإنسان المحتضر أن ما نزل به الفراق من حبيبته الدنيا ونعيمها أو فراق الروح الجسد. والظن هنا على بابه وهو أنه اسم لما يحصل عن أمارة وهو أقل من درجة العلم واليقين.[2]

وأكثر المفسرين على تفسير الظن باليقين يقول الفخر الرازي:[قال المفسرون: المراد أنه أيقن بمفارقته الدنيا ولعله إنما سمى اليقين هنا بالظن لأن الإنسان مادام يبقى روحه متعلقاً ببدنه فإنه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة على ما قال: ﴿كَلا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل الظن الغالب مع رجاء الحياة أو لعله سماه بالظن على سبيل التهكم] [3].

ويقول الرازي: [واعلم أن الآية دالة على أن الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت البدن لأنه تعالى سمى الموت فراقاً. والفراق إنما يكون لو كانت الروح باقية فإن الفراق والوصال صفة والصفة تستدعي وجود الموصوف][4].
الموصوف][4].

قوله:﴿ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ﴾ أي التوت ساقه بساقه فلا يقدر على تحريكهما. وقيل المراد التفافهما عند انتهاء أمرهما.

أو عندما يلفا في الكفن. أو التفت الشدة بالشدة. قال الزجاج: آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة[5].

[ويجوز أن يكون ذلك تمثيلاً، فإن العرب يستعملون الساق مثلاً في

(1) التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٢٣١/٣٠.
(2) روح المعاني/ للآلوسي/١٤٧/٢٩.
(3) التفسير الكبير/للفخر الرازي/٢٣١/٣٠.
(4) التفسير الكبير/للفخر الرازي/٢٣١/٣٠
(5) انظر زاد المسير في علم التفسير/لابن الجوزي/٤٢٤/٨ ، ٤٢٥.
- وتفسير القرآن العظيم/لابن كثير/ ٤٨١/٤.
- وروح المعاني / للآلوسي/١٤٧/٢٩.

الشدة وجد الأمر تمثيلاً بساق الساعي أو الناهض لعمل عظيم.

يقولون: قامت الحرب على ساق] [١]. فيكون المراد:وصف نهاية الشدة التي نزلت بالمحتضر بعد أن بلغت روحه تراقيه. والمعنى: طرأت شدة على شدة.

ولا مانع أن يكون كل ما قيل في المراد بالساق مراداً وهذا مما يدل على إعجاز القرآن الكريم حيث إن اللفظ الواحد يعطي معان كثيرة متعددة من غير تضاد.

قوله تعالى:﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ﴾ بيان لغاية تأسفه على الدنيا.

أي فإذا نزل بك الموت ايها الإنسان وانتزعك من بين الأهل والصحب والخلان فهل تدري إلى أين تقاد وتساق؟

فإلى ربك وحده المرجع والمآب. أو إلى حكم وموعد ربك والمراد به الجنة والنار.

فالمراد بالمسوق إليه هو الرب سبحانه، أو أن السائق هو سبحانه. أي أن سوق هؤلاء مفوض إليه سبحانه وتعالى.

والخطاب في قوله:﴿ إِلَى رَبِّكَ﴾ التفات عن طريق خطاب الجماعة في قوله:﴿ بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ لأنه لما كان خطاباً لغير معين حسن التفنن فيه. [٢] والتعريف في المساق تعريف الجنس الذي يعم الناس كلهم بما فيهم الإنسان الكافر المردود عليه. [٣]

وسلك في الجمل التي بعد " إذا " مسلك الإطناب لتهويل حالة الاحتضار على الكافر وفي ذلك إيماء إلى أن الكافر يتراءى له مصيره في حالة احتضاره.

---

(١) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٢٩/٣٥٩.
(٢) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٢٩/٣٦٠.
(٣) المرجع السابق.

وقد دل عليه حديث عبادة بن الصامت في الصحيح عن النبي ﷺ قال: (من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه) قالت عائشة أو بعض أزواجه: إنا نكره الموت قال: (أليس ذاك، ولكن المؤمن إذا حضره الموت بشر برضوان الله وكرامته، فليس شيء أحب إليه مما أمامه، فأحب لقاء الله وأحب الله لقاءه. وإن الكافر إذا حضر بشر بعذاب الله وعقوبته، فليس شيء أكره إليه مما امامه فكره لقاء الله وكره الله لقاءه). [1]

قوله تعالى:﴿ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى﴾ شرح وبيان لكيفية عمله فيما يتعلق بأصول الدين وفروعه فهو قد كذب بالدين ولم يؤد شرائع ربه. ولم يصل.

والآية تفريع على قوله تعالى:﴿ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ﴾ والضمير للإنسان المذكور في قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ . ويجوز أن يكون الفاء تفريعاً وعطفاً على قوله:﴿ إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴾أي فقد فارق الحياة وسيق إلى لقاء الله تعالى خالياً من العدة لذلك اللقاء.فلا صدق بالقرآن ولا بالرسول "صلى الله عليه وسلم" وبكل ما يجب تصديقه من أمور الإسلام. ولما نفى عنه أفعال الخير أثبت له أفعال الشر فقال:﴿ وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ نفياً لتوهم السكوت أو الشك أي ومع ذلك أظهر الجحود والتولي عن الطاعة. وحذف مفعول كذب ليشمل كل ما كذب به المشركون، والتقدير: كذب الرسول والقرآن وبالبعث وتولى عن الاستجابة لشرائع الإسلام.[2] وليس قوله:﴿ وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ تكرار لقوله:﴿ فَلا صَدَّقَ وَلا صَلَّى﴾ لأنه لا يلزم من عدم التصديق التكذيب. [3]

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه/كتاب الرقاق/ باب : من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه/ رقم ٦٥٠٧/صـ٨٠٠.
- وأخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء/ ٥ – باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه/رقم ٢٦٨٣/صـ١٥٨٦.

(2) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٦١/٢٩.

(3) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ للبقاعي/١١٢/٢١.

و قوله:﴿ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى﴾ بيان للأمر الحامل لهذا الإنسان على التكذيب وهو الكبر والترف.

يقول البقاعي:[ولما كان الإصرار على هذا عظيماً يبعد كل البعد أن يعمله أحد فكيف بالافتخار به والتكبر لأجله.

أشار إليه بأداة البعد[1] فقال مؤذناً بأن الحامل على التكذيب الكبر والحامل على الكبر الترف. وسبب ذلك الانقياد أولاً مع الطبع في إفساد القوتين: العملية والعلمية حتى نشأ عنهما هذا الخلق السيء وهو عدم المبالاة ولم يزل به ذلك حتى صار ملكة يفتخر به][2].

أي ذهب هذا الكافر المنكر المكذب مفتخراً متكبراً ورجع إلى أهله بمثل هذه الحالة الدالة على أنه لا يخاف الله تعالى، ولا من حلول غضبه عز و جل. ويماثل هذه الآية قوله تعالى:﴿ وَإِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمُ انقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾.[3]

وقوله تعالى:﴿ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا.إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ. بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾.[4]

وقوله تعالى:﴿ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى﴾ إخبار بما هو حقيق أن يقال له في موضع تحية أهله من التهديد العظيم.

والظاهر أن الجملة تذييل للدعاء لا محل لها من الإعراب وجوز أن تكون في موضع الحال.

﴿أَوْلَى لَكَ﴾ أي أولاك الله ما تكره أو أهلكك الله تعالى هلاكاً أقرب لك من كل شر. ودخلت اللام في ﴿لَكَ﴾ للتأكيد الزائد والتخصيص.

وزاد التأكيد بقوله:﴿ فَأَوْلَى﴾ أي ابتلاك الله بداهية عقب داهية. [5]

---

(1) أداة البعد (ثم).
(2) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ للبقاعي/١١٢/٢١.
(3) سورة المطففين، رقمها ٨٣: الآية ٣١.
(4) سورة الإنشاق، رقمها ٨٤: الآيات ١٣-١٥.
(5) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ للبقاعي/١١٣/٢١.

وأبلغ ذلك التأكيد إشارة إلى أنه يستحقه على مدى الأعصار.فقال مشيراً بأداة التراخي على عظيم ما ارتكب وقوة استحقاقه لهذا التأكيد﴿ ثُمَّ أَوْلَى لَكَ﴾.

فهذه الجملة تكرير للتأكيد جيء فيه بفاء التعقيب للدلالة على أنه يدعى عليه بأن يعقبه المكروه ويعقب بدعاء آخر. (١)

وجيء بحرف ﴿ثُمَّ﴾ لعطف الجملة دلالة على أن هذا التأكيد ارتقاء في الوعيد وتهديد بأشد مما افاده التهديد الأول وتأكيده. (٢)

كقوله تعالى:﴿ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾(٣).

يقول ابن كثير: [وهذا تهديد ووعيد أكيد من الله تعالى للكافر به المتبختر في مشيه أي يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك كما يقال في المِثْل هذا على سبيل التهكم والتهديد كقوله تعالى:﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ (٤) وكقوله تعالى:﴿ كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ﴾ (٥) وكقوله تعالى:﴿ فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِ﴾ (٦) وكقوله جل جلاله:﴿ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ (٧) إلى غير ذلك]. (٨)

سادساً: بيان وجوب الجزاء على الأعمال ودلائل قدرة الله تعالى على بعث الخلق بعد الموت للجزاء:

يقول تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى. أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى. ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٦٣/٢٩.
(٢) المرجع السابق/٣٦٤/٢٩.
(٣) سورة التكاثر، رقمها ١٠٢: الآيتان ٣ ، ٤ .
(٤) سورة الدخان، رقمها ٤٤: الآية٤٩ .
(٥) سورة المرسلات، رقمها ٧٧: الآية ٤٦.
(٦) سورة الزمر، رقمها ٣٩: الآية ١٥ .
(٧) سورة فصلت، رقمها ٤١: الآية ٤٠ .
(٨) تفسير القرآن العظيم/٤٨١/٤.

الذَّكَرَ وَالأُنثَى. أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ الآيات ٣٦ – ٤٠ .

المعنى الإجمالي للآيات

بعد أن ذكر الله ـ عز وجل ـ أحوال الإنسان عند الاحتضار ومشارفه الموت، وما يكتنفه من اهوال تتناسب مع عمل الإنسان.

أتبع ذلك بالإنكار على الإنسان الذي يظن بدون دليل أنه خلق مهملاً لا يؤمر ولا ينهي ولا يحاسب على أعماله. بل هو مأمور محاسب.

فمقتضى الحكمة الإلهية ألا يتساوى الصالح المزكي نفسه بصالح الأعمال مع الطالح المدسِّ نفسه باجتراح سيئات الأعمال والأفعال.

ولهذا كان لابد من البعث والنشور ليتحقق الثواب والعقاب يوم القيامة. ثم أتبع ذلك بإقامة الدليل على قدرة الله تعالى على بعث الناس وإحيائهم بعد موتهم فاستفهم منكراً على المنكر للقيامة: أما كان هذا المنكر قدرة الله تعالى على إحيائه بعد مماته.

من ماء مهين يراق من الأصلاب في الأرحام فصار علقة ثم مضغة ثم شكل ونفخ فيه الروح فصار خلقاً آخر سوياً سليم الأعضاء ذكراً وأنثى بإذن الله تعالى وتقديره وقدرته ـ عز وجل ـ. أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه.

■ شرح الألفاظ:

﴿ سُدًى﴾ بضم السين وبالقصر: اسم بمعنى المهمل ويقال: سدى بفتح السين. والضم أكثر وهو اسم يستوي فيه المفرد والجمع يقال:إبل سدى وجمل سدى[1] والمراد المهمل.

(1) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٢٩/٣٦٥.

﴿ نُطْفَةً﴾ النطفة الماء الصافي ويعبر بها عن ماء الرجل[١] وهو المراد.

﴿ يُمْنَى﴾ من منى لك الماني أي قدر لك المقدر. والمنى للذي قدر به الحيوانات قال تعالى:﴿ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى﴾ أي تقدر بالعزة الإلهية ما لم يكن منه.[٢] وهو المراد.

﴿عَلَقَةً﴾ من العلق وهو التثبت بالشيء يقال علق الصيد في الحُبالة وأعلق الصائد إذا علق الصيد في حبالته.

والعلق: الدم الجامد، ومنه: العلقة التي يكون منها الولد. [٣] وهو المراد.

﴿الزَّوْجَيْنِ﴾ مثنى زوج والزوج يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة ولكل قرينين فيها وفي غيرها زوج كالخف والنعل ولكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاد زوج، قال تعالى: ﴿فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى﴾ .[٤]

مناسبة الآيات لما قبلها

بعد أن ذكر الله ـ عز وجل ـ حال الكافر عند مشارفته للموت. وعدم قدرته على أن يدفع عن نفسه أهواله وشدائده.

أتبع ذلك بالإنكار عليه ما يتوهمه من عدم قيامة القيامة وأنه خلق

(١) مفردات ألفاظ القرآن/للراغب الأصفهاني/ ٨١١.
(٢) المرجع السابق/٧٧٩.
(٣) مفردات ألفاظ القرآن/ للراغب الأصفهاني/٥٧٩.
(٤) المرجع السابق/٣٨٤.

مهملاً بلا أمر ولا نهي ولا تكليف يتبعه الجزاء على الأعمال. وأتبع ذلك بذكر أدلة قدرة الله ـ عز وجل ـ على إحيائه بعد موته للحساب والجزاء.

والإمام الفخر الرازي يربط هذه الآيات بأول السورة فيقول: [واعلم أنه تعالى لما ذكر في أول السورة قوله:﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ أعاد في آخر السورة ذلك.

وذكر في صحة البعث والقيامة دليلين:

الدليل الأول: قوله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ .[1]

ونظيره قوله: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ ءاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى﴾.[2]

و قوله: ﴿أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾.[3]

وتقريره أن إعطاء القدرة والآلة والعقل بدون التكليف والأمر بالطاعة والنهي عن المفاسد يقتضي كونه تعالى راضياً بقبائح الأفعال، وذلك لا يليق بحكمته. فإذاً لابد من التكليف والتكليف لا يحسن ولا يليق بالكريم الرحيم إلا إذا كان هناك دار الثواب والبعث والقيامة.

الدليل الثاني: على صحة القول بالحشر الاستدلال بالخلقة الأولى على الإعادة وهو المراد] [4] من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى﴾ إلى آخر الآيات.

التفسير التحليلي للآيات

(1) سورة القيامة، رقمها ٧٥: الآية ٣٦.
(2) سورة طه، رقمها ٢٠:الآية ١٥.
(3) سورة ص، رقمها ٣٨:الآية ٢٨.
(4) التفسير الكبير/ للفخر الرازي/٢٣٣/٣٠ ، ٢٣٤.

قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾ استئناف ابتدائي عاد به الكلام إلى الاستدلال على إمكان البعث وهو ما ابتدئ به فارتبط بقوله: ﴿أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ فكأنه قيل: أيحسب أن لن نجمع عظامه ويحسب أن نتركه في حالة العدم.[1]

والاستفهام إنكاري وكان تكريره بعد قوله:﴿ أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ لتكرير إنكار الحشر مع تضمن الكلام الدلالة على وقوعه حيث إن الحكمة تقتضي الأمر بالمحاسن والنهي عن القبائح والرذائل والتكليف لا يتحقق إلا بمجازاة وهي قد لا تكون في الدنيا فتكون في الآخرة.[2]

والمراد بالإنسان: الكافر المنكر للبعث والقيامة.

﴿أَن يُتْرَكَ﴾ أي يهمل ولا يعتنى بأحواله وبتعهده ويترك في حال العدم دون إحياء للحساب والجزاء.

وعدل عن بناء فعل ﴿ يُتْرَكَ﴾ للفاعل فبني للنائب إيجازاً لأجل العلم بالفاعل من قوله السابق:﴿ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ فكأنه قال: «أيحسب الإنسان أن نتركه دون بعث وأن نهمل أعماله سدى». فجاء ذكر﴿سُدًى﴾ للإيماء إلى أن مقتضى حكمة خلق الإنسان أن لا يتركه خالقه بعد الموت فلا يحييه ليجازيه على عمله في حياته الأولى. [3]

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَى﴾ استئناف تعليلي جيء به بياناً لإبطال الحسبان المذكور. فإن مداره لما كان استبعادهم للإعادة دفع ذلك ببدء الخلق.

أي أن خلق الإنسان منطفة من ماء مهين مادة ضعيفة وتطور خلقه حتى صار علقة قطعة صغيرة من الدم المتجمد فخلق الله تعالى من هذه

(1) انظر تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٦٤/٢٩.
(2) روح المعاني/ للآلوسي/١٤٩/٢٩.
(3) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٦٥/٢٩.

العلقة هذا البشر السوي المعتدل المقوم وجعل منه صنفين الذكر والأنثى وهو قوله:﴿ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى. فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنثَى﴾ .

وعطف فعل "فكان علقة" بحرف ثم للدلالة على التراخي الرتبي، فإن كونه علقة أعجب من كونه نطفة لأنه صار علقة بعد أن كان ماء. فاختلط بما تفرزه رحم الأنثى من البويضات فكان من مجموعها علقة.ولما كان تكوينه علقة هو مبدأ خلق الجسم عطف عليه قوله: ﴿فَخَلَقَ﴾ بالفاء لأن العلقة يعقبها أن تصير مضغة إلى أن يتم خلق الجسد وتنفخ فيه الروح. (١)

وقوله تعالى:﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ واقع موقع النتيجة من الدليل. والاستفهام إنكار للمنفى إنكار تقرير بالإثبات وهذا غالب استعمال الاستفهام التقريري أن يقع على نفي ما يراد إثباته ليكون ذلك كالتوسعة على المقرر إن أراد إنكاراً كناية عن ثقة المتكلم بأن المخاطب لا يستطيع الإنكار. (٢)

والمعنى: أليس ذلك العظيم الشأن الذي أنشأ هذا الإنشاء البديع من العدم قادراً على أن يحيى الموتى وهو أهون من البدء. (٣)

وتعميم الموتى في قوله:﴿ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ بعد جريان أسلوب الكلام على خصوص الإنسان الكافر أو خصوص كافر معين يجعل جملة: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ تذييلاً. (٤)

وأختم دراستي للسورة الكريمة بما روى عن قتادة في قوله تعالى:﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ .

ذكر لنا أن رسول الله ﷺ قال: من قرأ:﴿ أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ

(١) انظر تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٦٧/٢٩ ، ٣٦٨.
(٢) المرجع السابق.
(٣) روح المعاني/ للآلوسي/١٥٠/٢٩.
(٤) تفسير التحرير والتنوير/لابن عاشور/٣٦٨/٢٩.

الْمَوْتَى﴾ فليقل: بلى".[1]

❁❁❁

(1) أخرجه أحمد في مسنده/١٢/رقم٧٣٩١/صـ٣٥٣- إسناده ضعيف لجهالة الراوي عن أبي هريرة.
- وأخرجه أبو داود في سننه/ كتاب الصلاة/ باب مقدار الركوع والسجود /جـ٢ /رقم٨٨٧ / صـ١٦٣ إسناده ضعيف لإبهام الراوي عن أبي هريرة. طبعة دار الرسالة العالمية/ دمشق/الطبعة الأولى ٢٠١٢م.
- وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد/ سورة القيامة/١٣٢/٧.
- انظر تفسير القرآن العظيم/لابن كثير/٤٨٢/٤.
- وجامع البيان في تفسير القرآن/لابن جرير الطبري/١٢٥/٢٩.

الخاتمة

إن هذه الدراسة لتفسير سورة القيامة وبيان ما تحويه من مضامين وأغراض ومعاني نستطيع أن نستخلص منها الحقائق التالية:

١- إن سورة القيامة تؤكد وتقرر وقوع يوم القيامة والبعث والجزاء وعظمة ذلك اليوم.

٢- إن النفس البشرية هي المقصودة بهدايات الله ـ عز وجل ـ والمحاسبة والجزاء. وأنها تحتل عظمتها إذا وصلت إلى مرتبة اللوم على ما صدر منها.

٣- إن قدرة الله ـ عز وجل ـ شاملة قادرة على كل شيء في الكون على الإحياء ابتداء من العدم.وعلى الإعادة بعد الفناء.

٤- إن نفس الإنسان الكافر الجاحد تدفعه دائماً إلى الفجور والعصيان والتمرد على الله ـ عز وجل ـ وعلى تعاليم الوحي الحكيم. وهذا ما يجعله يسأل مستبعداً ومنكراً﴿ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴾[1].

٥- إن الإنسان عامة ونفس الكافر خاصة سوف ترتعد وتضطرب عند مشاهدة تفتت الكون وفناء معالمه يوم القيامة.خاصة إذا ذهب ضوء القمر وجمع وانضم الشمس والقمر في المطلع من غير فلكهما.

٦- إن الإنسان الكافر عندما يشاهد الأحداث العظام وانقلاب المخلوقات يوم القيامة وتضيق عليه الحياة بما رحبت يتساءل: أين الملجأ والحصن الذي يحميني من هذه الأهوال العظام.وفي ذلك تخويف وترهيب عظيم.

---

(1) سورة القيامة، رقمها ٧٥: الآية ٦.

٧- عندما لا يجد الإنسان الكافر ملجأ ولا شيئاً يحميه. يقول لنفسه يائساً:لا ملجأ. أو تقول له الملائكة ذلك وأن المرجع والمآب ليس إلا إلى الله ـ عز وجل ـ.

٨- إن الله ـ عز وجل ـ يحاسب الإنسان عامة يوم القيامة على ما قدم من عمل صالح أو طالح وما أخر من ذلك. وهو حساب يعقبه الثواب أو العقاب.

٩- إن الإنسان يوم القيامة يكون شهيداً على نفسه بصيراً بأعماله. ومهما قدم من أعذار أو حبس نفسه وراء الستور لأن جوارحه لتشهد عليه.

١٠- إن ـ عز وجل ـ نهى رسوله محمدا ﷺ عن السرعة في تلقي القرآن وأكد له الوعد بأن يقرئه القرآن ويبينه له بياناً حكيماً. وهذا النهي يدل على مدى شغف النبي ﷺ بالقرآن.

كما يفيد أن الله علم رسوله ﷺ

آداب التلقي للقرآن التي صارت منهجاً إسلامياً في تلقي القرآن خاصة وتعلم العلم ثانياً.

١١- إن الله ـ عز وجل ـ ينكر على الكفار والجاحدين إيثارهم الدنيا الفانية على الآخرة الباقية الأمر الذي كان سبباً في ضلالهم وكفرهم وعصيانهم.

١٢- إن الناس في الآخرة فريقان:

- فريق المؤمنين الذين يتمتعون بوجوه حسنة مضيئة جميلة قد نالت أسمى ما كانت تأمله بأعمالها الصالحة وهو النظر إلى الله ـ عز وجل ـ.
- وفريق الكافرين الذين تكون وجوههم كالحة عابسة من شدة ما يقع

عليها من العذاب والنكال وما تتوقعه من الدواهي العظام.

١٣- إن رؤية الله تعالى في الآخرة ثابتة ومقررة للمؤمنين المخلصين. وهي من أعظم مراتب الثواب والنعيم والرضوان يوم القيامة.

١٤- تقرير وتأكيد الحقيقة التي يشاهدها الناس جميعاً ويعرفونها حق المعرفة، وهي حقيقة الموت وأهواله وشدائده التي تعتري الإنسان عند موته ووقت احتضاره.

١٥- إن الإنسان يعجز عن أن ينقذ نفسه أو أن يزيح عنها أهوال وسكرات الموت مهما كانت عشيرته وكثر أهله.

١٦- عندما تلتقي شدائد مفارقة الدنيا بشدائد الإقبال على الآخرة أو تُلّفُّ ساقاه في الكفن يتذكر ما كان منه " لا صدق " بأصول الدين ولا أدى فروعه "ولا صلى"[١] ولكن كان أمره أنه كذب بالدين وأعرض عن تعاليمه.

وهذا مما ينبئ عن حسرته وشدة ندمه. على ما فرط في الأعمال الصالحة واقترف الأعمال السيئة التي أكبرها الكبر والافتخار.

١٧- إن الإنسان الكافر الجاحد يُدعى عليه بالهلاك والخزي والذل دعاء مؤكداً.

١٨- إن الإنسان الكافر يتوهم أن يخلق في هذه الحياة ويترك مهملاً بلا تكليف ولا حساب ولا جزاء وهذا ما يجعله ينكر يوم القيامة ولا يؤمن بها ظناً منه أن الله ـ عز وجل ـ لا يقدر على إحياء الخلق بعد فنائهم.

١٩- إن الإنسان الكافر الجاحد ينسى خلقه الأول وأن الله ـ عز وجل ـ قد أوجده من العدم وأن القادر على أن يوجده ويبدعه من نطفة من ماء

(١) سورة القيامة، رقمها ٧٥: الآية ٣١.

مهين. ويطور خلقه إلى علقة ثم مضغة ثم عظاماً إلى أن يصيره خلقاً سوياً معتدلاً. قادر من باب أولى على أن يعيده بعد موته ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَى﴾ .[1]

٢٠- إن سورة القيامة قد ركزت على تقرير حقائق ثلاث:

(١) حقيقة يوم القيامة وحصوله.

(٢) حقيقة القرآن ووحيه إلى الرسول ﷺ من الله ـ عز وجل ـ.

(٣) حقيقة الموت وأن الخلق جميعاً لابد لهم منه.

٢١- إن سورة القيامة قد ظهرت فيها دلائل وأمارات الإعجاز القرآني في الأسلوب والبيان والألفاظ وغير ذلك مما لا يخفى على المتدبر.

فما أجدرنا أن نداوم على قراءة سورة القيامة وتدارسها وتدبر معانيها ومفاهيمها. لتملأ قلوبنا خوفاً وخشية من الله ـ عز وجل ـ وتجعل نفوسنا مسارعة إلى عبادة الله تعالى رغبة فيما عنده ـ عز وجل ـ من ثواب عظيم وجزاء جميل.

❁❁❁

(١) سورة القيامة، رقمها ٧٥: الآية ٤٠.

المصادر والمراجع

١- الإتقان في علوم القرآن/ للحافظ جلال الدين عبدالرحمن السيوطي/تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم/ الناشر:مكتبة ومطبعة المشهد الحسيني. القاهرة/ الطبعة الأولى: ١٣٨٧هـ -١٩٦٧ م.

٢- أحكام القرآن/لأبي بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي ٤٦٨هـ-٥٤٣هـ/ تحقيق: علي محمد البجاوي/ الناشر: دار المعرفة :بيروت - لبنان.

٣- أسباب نزول القرآن/لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي/تحقيق:السيد أحمد صقر/ الناشر: دار القبلة – مكة/ الطبعة الثانية:١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م.

٤-الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق/دراسة قرآنية لغوية وبيانية للدكتورة عائشة عبدالرحمن بنت الشاطئ/الناشر:دار المعارف – القاهرة/الطبعة الثانية.

٥-البرهان في علوم القرآن/للإمام بدر الدين محمد بن عبدالله الزركشي/تحقيق: محمد أبوالفضل إبراهيم/ الناشر:دار المعرفة :بيروت- لبنان.

٦-بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز/تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفى سنة٨١٧هـ/ تحقيق:الأستاذ محمد علي النجار/طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – القاهرة ١٣٨٧هـ.

٧-الترغيب والترهيب من الحديث الشريف/للحافظ زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي المنذري المتوفى سنة٦٥٦هـ/ ضبط أحاديثه وعلق عليه: مصطفى محمد عماره/ الناشر: مكتبة ومطبعة مصطفى البابي

الحلبي بمصر/الطبعة الثالثة: ١٣٨٨هـ -١٩٦٨م.
٨-تفسير البغوي المسمى معالم التنزيل /لأبي محمد الحسين بن مسعود الفراء البغوي الشافعي المتوفى ٥١٦هـ/ إعداد وتحقيق: خالدعبدالرحمن العك- مروان سوار/ الناشر: دار المعرفة: بيروت- لبنان/ الطبعة الأولى: ١٤٠٦هـ -١٩٨٦م.
٩-تفسير التحرير والتنوير/للإمام الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور/طبعة الدار التونسية للنشر/تونس ١٩٨٤م.
١٠-تفسير سور المفصل من القرآن الكريم/للعلامة الجليل السيد عبدالله كنون/طبعة:دار الثقافة - المغرب/ الطبعة الأولى:١٤٠١هـ - ١٩٨١م.
١١-تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب/للإمام محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر المشتهر بخطيب الريّ ٥٤٤-٦٠٤هـ/ الناشر: دار الفكر: بيروت - لبنان/ الطبعة الأولى:١٤٠١هـ -١٩٨١م.
١٢-تفسير القرآن العظيم/للإمام عماد الدين أبوالفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ - قدم له: الدكتور يوسف عبدالرحمن المرعشلي/الناشر:دار المعرفة- بيروت- لبنان/الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ -١٩٨٧م.
١٣-تفسير القرآن الكريم المسمى بالسراج المنير/للإمام الشيخ الخطيب الشربيني/الناشر: دار المعرفة: بيروت - لبنان/الطبعة الثانية.
١٤-تفسير المراغي/ للأستاذ المرحوم أحمد مصطفى المراغي/ طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر/الطبعة الخامسة ١٣٩٤هـ -١٩٧٤م.

١٥-تقريب التهذيب/ لابن حجر العسقلاني/ حققه وعلق حواشيه وقدم له: عبدالوهاب عبداللطيف/ الناشر: دارالمعرفة: بيروت- لبنان/ الطبعةالثانية:١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.
١٦-الجامع لأحكام القرآن/لأبي عبدالله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي المتوفى ٦٧١هـ -١٢٧٣م/ طبعة:الهيئةالمصرية العامة للكتاب.
١٧-جامع البيان في تفسير القرآن/ للإمام أبي جعفر محمد بن جرير الطبري/الناشر: دار الحديث /القاهرة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
١٨-الدر المصون في علوم الكتاب المكنون/تأليف:الإمام شهاب الدين أبي العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبي.
تحقيق وتعليق: الشيخ علي محمد معوض- الشيخ عادل أحمد عبدالموجود- الدكتور: جاد مخلوف جاد - الدكتور زكريا عبدالمجيد النوتي.
الناشر: دار الكتب العلمية:بيروت - لبنان / الطبعة الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م.
١٩-الدر المنثور في التفسير بالماثور/للإمام جلال الدين السيوطي/ الناشر: دار المعرفة: بيروت - لبنان.
٢٠-دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة/لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي ٣٨٤ -٤٥٨هـ.وثق أصوله وخرج أحاديثه وعلق عليه الدكتور عبدالمعطي قلعجي/الناشر:دار الكتب العلمية - بيروت- لبنان/ الطبعة الأولى:١٤٠٥هـ -١٩٨٥م.
٢١-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني/لأبي الفضل

شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ/الناشر: دار إحياء التراث العربي: بيروت – لبنان.

٢٢-زاد المسير في علم التفسير/للإمام ابي الفرج جمال الدين عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي ٥٠٨ – ٥٩٧هـ/ طبعة:المكتب الإسلامي:بيروت– ودمشق/الطبعة الثالثة: ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

٢٣-زاد المعاد في هدي خيرالعباد/لابن قيم الجوزيه/شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر الزرعي الدمشقي ٦٩١-٧٥١هـ/حقق نصوصه،وخرج أحاديثه وعلق عليه:شعيب الأرنؤوط– عبدالقادر الأرنؤوط / طبعة مؤسسة الرسالة: بيروت/ الطبعة العاشرة:١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

٢٤-سنن الترمذي/لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة/ تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوة عوض. الناشر: دار إحياء التراث العربي:بيروت – لبنان.

٢٥-موسوعة السنة: الكتب الستة وشروحها:

- سنن النسائي/لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب. الناشر: دار سحنون/ اسطنبول ١٩٩٢م/ الطبعة الثانية.

٢٦-شرح العلامة المخللاتي الشيخ رضوان بن محمد بن سليمان المكني بأبي عيد المعروف بالمخللاتي سنة ١٣١١هـ المسمى بالقول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز على ناظمة الزهر للإمام الشاطبي حققه وعلق عليه:عبدالرازق بن علي بن إبراهيم موسى– طبعة المدينة المنورة/الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ -١٩٩٢م.

٢٧-شرح مشكل الآثار/لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الطحاوي/

حققه وضبط نصه وخرج أحاديثه وعلق عليه شعيب الأرنؤوط/الناشر: مؤسسة الرسالة بيروت / الطبعة الأولى:١٤١٥هـ -١٩٩٤م.

٢٨-صحيح البخاري/للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري/ ترقيم وترتيب/ محمد فؤاد عبدالباقي/ الناشر: مكتبة أولاد الشيخ للتراث-الهرم والجيزة/الطبعة الأولى:٢٠٠٨م.

٢٩-صحيح سنن أبي داود/ صحح أحاديثه محمد ناصر الدين الألباني/علق عليه وفهرسه: زهير الشاويش/ الناشر: مكتب التربية العربي لدول الخليج /الرياض/ الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ -١٩٨٩م.

٣٠-علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه/ للدكتورعدنان زرزور/الناشر:دارالأعلام- الأردن/الطبعة الأولى ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

٣١-فتح الباري بشرح صحيح البخاري/لأبي الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني الشافعي المولود ٧٧٣هـ - ١٣٧٣م المتوفى ٨٥٢هـ -١٤٤٩م/ راجعه وقدم له وضبط أحاديثه وعلق عليه الأساتذة: طه عبدالرؤوف سعد- مصطفى محمد الهواري- السيد محمد عبدالمعطي/الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة/ ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

٣٢-فضائل القرآن/ للإمام أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ/تحقيق وتعليق: وهبي سليمان غاوجي/ الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت - لبنان / الطبعة الأولى- ١٤١١هـ -١٩٩١م.

٣٣-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل /تأليف ابي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي٤٦٧- ٥٣٨/ تحقيق: محمد الصادق قمحاوي/ طبعة: مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر/الطبعة الأخيرة: ١٣٩٢ هـ -١٩٧٢م.

٣٤-مجمع الزوائد ومنبع الفوائد /للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي/ الناشر: دار الكتب العلمية: بيروت – لبنان/١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٣٥-المستدرك على الصحيحين في الحديث /لأبي عبدالله محمد بن عبدالله المعروف بالحاكم النيسابوري/ الناشر:مكتبة ومطابع النصر الحديثة – الرياض.
٣٦-مسند الإمام أحمد بن حنبل/أشرف على تحقيقه:الشيخ شعيب الأرنؤوط / حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: شعيب الأرنؤوط – محمد نعيم العرقسوس– إبراهيم الزيبق– عادل مرشد /الناشر: مؤسسة الرسالة: بيروت– لبنان/الطبعة الأولى: ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
٣٧-مسند أبي داود الطيالسي/للحافظ الكبير سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري الشهير بأبي داود الطيالسي/الناشر: دار المعرفة :بيروت – لبنان.
٣٨-مشكل إعراب القرآن/لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي ٣٥٥ – ٤٣٧هـ/ تحقيق الدكتور حاتم صالح الضامن– الناشر:مؤسسة الرسالة:بيروت– لبنان/ الطبعة الثانية/ ١٤٠٥هـ -١٩٨٤م.
٣٩-مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور/ تأليف الحافظ برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي الشافعي المتوفى سنة ٨٨٥هـ/قدم له وحققه وعلق عليه وخرج أحاديثه الدكتور/عبدالسميع محمد أحمد حسنين/طبعة:مكتبة المعارف: الرياض– المملكة العربية السعودية– الطبعة الأولى: ١٤٠٨هـ -١٩٨٧م.
٤٠-المعجم الكبير/ للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني/ حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبدالمجيد السلفي/ الناشر: مكتبة ابن تيمية

– القاهرة.
٤١–المغني/لابن قدامه/لأبي محمد عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامه المتوفى سنة ٦٣٠هـ على مختصر أبي القاسم عمر بن حسين بن عبدالله بن أحمد الخرقي/ الناشر: مكتبة الجمهورية العربية – مصر – مكتبة الرياض الحديثة بالرياض.
٤٢–مفردات ألفاظ القرآن/ تأليف العلامة الراغب الأصفهاني المتوفى ٤٢٥هـ تحقيق: صفوان عدنان داوودي/الناشر:دار القلم: دمشق– الدار الشامية: بيروت/ الطبعة الأولى :١٤١٢هـ – ١٩٩٢م.
٤٣–المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج – شرح النووي على صحيح مسلم / للإمام الحافظ محيي الدين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي/الناشر:بيت الأفكار الدولية – الأردن – والسعودية.
٤٤–موسوعة السنة/ الكتب الستة وشروحها:الموطأ / للإمام مالك بن أنس/ اسطنبول ١٩٨١م.
٤٥–نظم الدرر في تناسب الآيات والسور/ لبرهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي المتوفى سنة٨٨٥هـ–١٤٨٠م. طبعة: مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن – الهند/الطبعة الأولى:١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.